التوكل
على الله تعالى

إبراهيم الدميجي

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسوعة:

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الكتاب رقم (١٢)

التوكل على الله تعالى

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

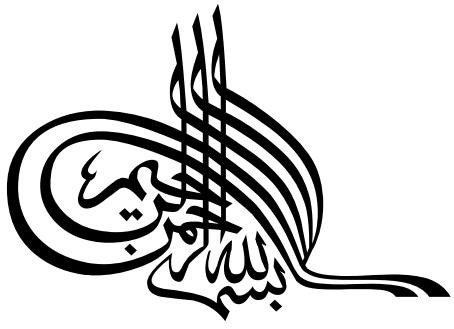
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
التعريف..... ٧
فضل التوكل ومنزلته ١٦
أقسام التوكل ٣٧
الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل بل التوكل من جملتها ٤٢
قوادح التوكل ٨٨
أولاً: الاسترقاء ٩٠
ثانيًا: الاكتواء..... ٩٨
ثالثًا: التطير..... ١٠٣
الجمع بين نصوص ظاهرها التعارض في مسألة التشاؤم والتطير ١١٢
مواطن التوكل..... ١٢٧
من أخبار المتوكلين ١٣٠
إطلالة على صحيح أبي عبد الله البخاري..... ١٣٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

الحمد لله العظيم الجليل الجميل، وَعَد المتوكّلين عليه بكفايته، وأضاء سبيلهم بهدايته، وحقّق أمانيهم بكرمه وأعطياته وهباته. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، عمَّ الخلائق فضلُه ونوالُه، وانبسطت بالإحسان إليهم فيوضُ كراماته، أسعدُ الخلقِ مَن عليه توكّل، وإليه توجّه، ومنه استحيا، وبحبله اعتصم، وإلى ركنه التجأ، وبه اكتفى.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيّه وكريمه وكليمه وخليله، صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، إمامُ المتوكلين، وسيّدُ العابدين، وإمام الغرّ المحجّلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن التوكل على الله تعالى هو جبل المؤمن الذي يستند عليه عند لأواء المعضلات، وأدواء المشكلات، وظلمات الحيرات، وهجمات الرغبات، وآلام الجوعات، ومعرّة الحاجات، وهو لمن حقّقه معين الهدايات لمراضي رب البريات تبارك وتعالى، فعلى قدر توكل المرء على ربه يكون حظه من الفلاح والهدى والسعادة، وإنْ وصل أحدهم يومًا لأعظم رغيبة لمؤمن وهي مرضاة الله تعالى فعلى صهوة التوكل كان طريقه، وبمعراجه كان وصوله بإذن ربه ووليّه. ذلك أنّ التوكل على الله تعالى أصلٌ من أعظم أصول أعمال القلوب، فهو الحبل الواصل لكل توفيق، وكلّ سبيل بغير التوكل فهو مفض لضياع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخيبة وخسار. ولو لم يَرد في فضل التوكل سوى قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه لكفاه فضلًا وشرفًا.

وهذه صفحات يسّرها الله تعالى في بيان أمور التوكل حدًّا، وفضلًا، وطُرُقًا لتحصيله، ووسائل لدفع عوائقه، وأخبار أهله، ونحو ذلك مما تيسّر من مهماته، سائلًا ربي الكريم التوفيق والسداد والهدى والرشاد، هو ربي وإلهي ووكيلي وحسيبي ومولاي، ونعم المولى ونعم النصير ونعم الوكيل.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

٨/ ١٠/ ١٤٣٨

aldumaiji@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعريف

هذا العمل القلبي عظيم جدًّا، وهو من أعمدة حياة القلب، فلا حياة للقلب إلا باعتماده وتفويضه وتوكله التام على من بيده مقاليد الأمور.

التوكل هو تمام التفويض، «ومادة (وكل)، الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل علىٰ اعتماد غيرك في أمرك. والتوكل هو إظهار العجز في الأمر والاعتمادُ علىٰ غيرك. ويقال: واكلتُ الرجلَ، إذا اتّكلتَ عليه، واتّكل عليك»(١)(٢).

وقال ابن الأنباري في قوله تعالى: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] «يقول: كافينا الله، ونعم الكافي، كقولك: رزقنا الله ونعم الرازق. وقال أبو

---

(١) معجم المقاييس (١٠٦٣).

(٢) واعلم أن التوكّل عبادة محضة، فلا يشرع استعمال كلمة التوكل بين المخلوقين، إنما تُستعمل الوكالة أو الاعتماد. فقل للمخلوق: اعتمدت عليك ووكلتك، ولا تقل: توكّلتُ عليك. وكان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يقولون: «التوكل عمل القلب». وعليه فيقين القلب بأن الله تعالى مدبر الأمور وتفويض الأمر كلية إليه مع بذل السبب المشروع هذا محض التوكل، فالتوكل عبادة، وهو بخلاف التوكيل.
وعلى هذا فلا ينبغي أن يقال: توكلت على الله ثم عليك، لأن أصل التوكل عبادة، ومنبتها جذر القلب، وليست كالاستعانة والاستعاذة والاستغاثة ونحو ذلك التي جاء استعمالها سائغًا على لسان الشارع فيما يقدر عليه المخلوق. وبالله التوفيق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إسحاق: الوكيلُ في صفة الله عز وجل: الذي توكّل بالقيام بجميع ما خلق. ويقال: قد أوكلتَ على أخيك العمل، إذا خليته كلّه عليه. ورجلٌ وَكَلَةٌ إذا كان يكلُ أمره إلى الناس. ورجل تُكَلَةٌ إذا كان يتكل على غيره. والمتوكل على الله هو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فاطمأن قلبه على ذلك، ولم يتوكل على غيره»(١).

وقال الراغب: «التوكيل: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك، والوكيل: فعيل بمعنى المفعول(٢)، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١] أي اكتفِ به أن يتولّى أمرك ويتوكّلُ لك، وعلى هذا: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، و﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧] أي بموكل عليهم وحافظ لهم، كقوله: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ [الغاشية: ٢٢، ٢٣]، فعلى هذا قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، و﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦] أي: من يتوكّلُ عنهم؟

والتوكل يقال على وجهين: يُقال: توكّلتُ لفلان، بمعنى توليت له. ويقال: وكّلتُهُ فتوكّلَ لي، وتوكّلتُ عليه، بمعنى اعتمدته. قال عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ [المائدة: ٢٣] ﴿وَتَوَكَّلۡ

(١) معجم التهذيب (٤/ ٣٩٤٦، ٣٩٤٧).

(٢) ومن بابه عقيدة، فهي فعيلة بمعنى مفعولة، أي: معقودة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]»(١).

وقال ابن سِيْدَه: «وَكِلَ بالله، وتوكَّلَ عليه، واتَّكَلَ: استسلم إليه. ويقال: توكَّلَ بالأمر، إذا ضمن القيام به، ووكلتُ أمري إلى فلان: ألجأتُهُ إليه، واعتمدتُ فيه عليه، ووكَّلَ فلانٌ فلانًا إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه. والاسم: الوَكالة والوِكالة، والاسم من التوكل: التُّكْلان»(٢).

والوكيل من أسماء الله الحسنى، وقد ورد مرارًا في القرآن العزيز، قال ابن الأثير: «الوكيل هو القيّم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه(٣).

وقال الغزالي: «الوكيل هو الموكولة إليه الأمور. ولكن الموكول إليه ينقسم إلى من يُوكَلُ إليه بعض الأمور، وذلك ناقص، وإلى من يُوكَلُ إليه الكلّ، وليس ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

والموكول إليه ينقسم إلى من يستحق أن يكون موكولاً إليه، لا بذاته ولكن بالتفويض والتوكيل، وهذا ناقص لأنه فقير إلى التفويض والتولية، وإلى من يستحق بذاته أن تكون الأمور موكولة إليه والقلوب متوكلة عليه، لا بتولية وتفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق.

---

(١) المفردات (٥٤٦).

(٢) اللسان (٩/ ٣٩٢، ٣٩٣)، القاموس (١٨٩٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١) عن نضرة النعيم (٤/ ١٣٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والوكيل أيضًا ينقسم إلى من يفي بما وُكِّل إليه وفاءً تامًّا من غير قصور، وإلى من لا يفي بالجميع. والوكيل المطلق هو الذي الأمور موكولة إليه، وهو مليٌّ بالقيام بها، وَفِيٌّ بإتمامها، وذلك هو الله تعالى فقط»(١).

وقال العلامة الشنقيطي: «المعاني كلُّها متقاربة، ومرجعها إلى شيء واحد، هو أن الوكيل: من يُتوكَّلُ عليه. فتفوَّضُ الأمور إليه؛ ليأتي بالخير، ويدفع الشر. وهذا لا يصلحُ إلا لله وحده جل وعلا. ولهذا حذّر من اتخاذ وكيلٍ دونه؛ لأنه لا نافع ولا ضار ولا كافي إلا هو وحده جل وعلا، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل»(٢).

وهناك علاقة بين التوكل والتفويض والثقة، فبين التوكل والتفويض عموم وخصوص، فالتفويض أوسع من معنى التوكل، والتوكل أخص من التفويض(٣)؛ أما الثقة فهي خلاصة التوكل ولُبُّهُ وسواد عينه، ولولا كمال ثقة أم موسى بربها لما ألقت بوليدها في اليم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ [القصص: ٧](٤).

وقال ابن القيم بعد ذكر بضعة وعشرين تعريفًا للتوكل: «وحقيقة الأمر: أن التوكل حالٌ مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، وكلٌ أشار إلى

(١) المقصد الأسنى (١٢٩) عن السابق (٤/ ١٣٧٧).
(٢) أضواء البيان (٣/ ٣٦٧) عن السابق (٤/ ١٣٧٨).
(٣) المدارج (٢/ ١٤٥).
(٤) المدارج (٢/ ١٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واحد من هذه الأمور، أو اثنين فأكثر.

فأول ذلك: معرفة بالرب وصفاته؛ من قدرته، وكفايته، وقيّوميّته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكّل. قال شيخنا ـ أي ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصوّر من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة، ولا من الجهمية، فلا يستقيم إلا من أهل الإثبات».

الدرجة الثانية: إثبات في الأسباب والمسببات، فمن نفى الأسباب فتوكله مدخول.

الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فحقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب وتعلق الجوارح بها، فيكون منقطعًا منها متصلاً بها.

والتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علائق القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية(١).

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكونٌ إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويُلبسه السكون إلى مسببها.

وعلامة هذا: ألا يبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه، ويخفقُ عند إدبار ما يجب منها، وإقبال ما يكره؛ لأن اعتماده على الله، وسكونه إليه قد حصَّنه من خوفها ورجائها، فحالُهُ حالُ من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به، فرأى حصنًا مفتوحًا؛ فأدخله ربُّهُ إليه، وأغلق عليه باب الحصن، فهو يشاهد عدوّه خارج الحصن، فاضطراب قلبه وخوفه من عدوه في هذه الحال لا معنى له.

وكذلك من أعطاه ملك درهمًا فسُرِقَ منه، فقال له الملك: عندي أضعافه فلا تهتم، متى جئتَ إليَّ أعطيتك من خزائني أضعافه، فإذا علمَ صحة قول الملك، ووثق به، واطمأن إليه، وعلم أن خزائنه مليئة بذلك؛ لم يحزنه فوته.

وقد مُثِّلَ ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه، وطمأنينته بثدي أمه، لا يعرف غيره، وليس في قلبه التفات إلى غيره، كما قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئًا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه.

---

(١) وللأسباب وعلاقتها بالتوكل فصل خاص يأتي إن شاء الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله تعالى[١]، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له؛ يكون توكلك عليه، ولذلك فسَّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله عز وجل.

والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه، إذ لا يُتصوّر التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه.

الدرجة السادسة: استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، وقطع منازعاته. وبهذا فسّره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلّبه كيف أراد، لا يكون له حركة ولا تدبير.

الدرجة السابعة: التفويض: وهو روحُ التوكل ولُبُّهُ وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلبًا واختيارًا لا كرهًا واضطرارًا، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه ورحمته، وتمام كفايته، وحسن ولايته له، وتدبيره له[٢]، فهو يرى أن تدبيره له خير من تدبيره لنفسه، وقيامه بمصالحه وتوليه لها؛ خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها. فلا يجد أصلح له ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه، وراحته من حمل كُلَفها وثقل حملها مع عجزه عنها، وجهله بوجوه المصالح فيها، وعلمه بكمال علم من فوّض إليه، وقدرته وشفقته.

---

(١) وهو شريف جدًّا، وله كتاب مستقل إن شاء الله تعالى.

(٢) المراد التمثيل للتقريب، ولله المثل الأعلى سبحانه وبحمده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا وضع قدمه في هذه الدرجة انتقل منها إلى الدرجة الثامنة وهي: درجة الرضى. وهي ثمرة التوكل، ومن فسّر التوكل بها فإنما فسّره بأجلّ ثمراته، وأعظم فوائده، فإذا توكّل حق التوكل رضي بما يفعله وكيلُه.

وكان شيخنا[١] يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضى بعده. فمن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضيّ له بعد الفعل؛ فقد قام بالعبودية.

قلت: وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: «**اللّهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم**»[٢]، فهذا توكل وتفويض، ثم قال: «**فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب**»، فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسُّلٌ إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسّل بها المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحة عاجلاً أو آجلاً، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلاً أو آجلاً، فهذا هو[٣] حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه له، فقال: «**واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به**».

فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية، التي من جملتها: التوكل والتفويض قبل وقوع المقدور، والرضى بعده؛ وهو ثمرة التوكل،

---

(١) ابن تيمية رحمه الله، وإذا أطلق ابن القيم شيخه فهو ابن تيمية، رحمهما الله.

(٢) البخاري (١١٦٢).

(٣) يصحّ لغة تذكيره بناء على ما مضى من تذكير دون ما أقبل من تأنيث، والأشهر عكسه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتفويض علامة صحته، فإن لم يرض بما قُضي له؛ فتفويضه معلول فاسد.

فباستكمال هذه الدرجات الثمان يستكمل العبد مقام التوكل، وتثبت قدمه فيه، وهذا معنى قول بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله. يكذب على الله، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به. وقول يحيى بن معاذ، وقد سُئل: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً»(١).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٩-٣٦٩) باختصار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضل التوكل ومنزلته

إن من أعظم أعمال القلوب على الإطلاق وأشرف منازل السائرين لرضى الله رب العالمين: منزلة التوكل، وقد استفاضت نصوص الوحي الإلهي قرآنًا وسنة بذكره والتنويه بشأنه، وبيان منزلة أهله، فقد ذكر الله عز وجل التوكل في القرآن في اثنين وستين موضعًا(١).

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فشرط التوكل لتحقيق الإيمان، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، فما توكلٌ نافع إلا على الله وحده، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه، ومن كان الله كافيه فلا تسل عن فلاحه. وقال عز وجل عن أوليائه أن من أدعيتهم: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وقال له ولكل من تبعه بإحسان: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١]، وقال له: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال له ولأتباعه: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢]، والقرآن مملوء من ذلك.

---

(١) بلفظ (توكل) ٣٨ موضعًا، وبلفظ (وكيل) ٢٤ موضعًا، مجموعهما ٦٢ موضعًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب: **«هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيّرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»**(١)، وقال ﷺ: **«من قال** ـ يعني إذا خرج من بيته ـ **بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ يُقال له: هُديت ووُقيت وكُفيت، فيقول الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووقي؟»**(٢). والأحاديث كُثُر.

«والتوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة»(٣).

«ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلّق التوكل، وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل، ووقوعه من المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، والطير والوحش والبهائم.

فأهل السموات والأرض ـ المكلفون وغيرهم ـ في مقام التوكل، وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم وفي إقامته في الخلق، ويتوكلون عليه في الإيمان ونُصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابّه وتنفيذ أوامره.

---

(١) متفق عليه. البخاري (٥٧٠٥)، مسلم (٢٢٠).

(٢) الترمذي في الزهد في باب التوكل على الله. وقال: حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٥٩).

(٣) المدارج (٢/ ٣٤٩، ٣٥٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغًا عن الناس.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلومٍ يناله منه، في رزق أو عافية، أو نصر على عدو، أو زوجة أو ولد ونحو ذلك.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول ما لا يحبه ويرضاه من الظلم والعدوان وحصول الإثم والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبًا إلا باستعانتهم بالله، وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يُلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم.

فأفضل التوكل: التوكل في الواجب؛ أعني واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس. وأوسعه وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية[١]، أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكّل ورثتهم، ثم الناس بعدُ في التوكل على حسب هممهم، ومقاصدهم، فمن متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف.

ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله[٢]؛ فإن كان محبوبًا له

---

(١) وهذا ملحظ مهم للدعاة والمربين والمحتسبين والمجاهدين ومصلحي ذات البين.

(٢) شريطة أن يتحقق التوكل كاملاً، فإذا كان التوكل هو أقوى الأسباب فقد يخرق الله =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مرضيًّا؛ كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطًا مبغوضًا، حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه إن لم يستعن به على طاعته.

=

به العادة حتى بدون أسباب أخرى ومع وجود موانع، وهذه هي مرتبة توكل الاضطرار للعالم بالله عز وجل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد تعرض للصادق أحيانًا قوّة ثقة بالله، وحال مع الله تحمله على ترك كل سبب، كما تحمله على إلقاء نفسه في مواضع الهلكة، ويكون ذلك الوقت بالله لا به، فيأتيه مدد من الله على مقتضى حاله، ولكن لا تدوم هذه الحال، وليس في مقتضى الطبيعة، فإنها كانت هجمةً هجمت عليه بلا استدعاء فحمل عليها، فإن استدعى مثلها وتكلَّفها لم يُجَبْ إلى ذلك». المدارج (٢/٣٨٨).

قلت: وفي تحدي شيخ الإسلام لرؤوس الأحمدية الذين كانوا يشعبذون على العامة بحيل ودهون يضعونها على أجسادهم ثم يزعمون أن النار لا تضرّهم حتى يسلّم الناس لهم حالهم وينفذون بذلك إلى قلوبهم، فلما اجتمع بهم شيخ الإسلام في جمع كثيف من العامة والجند والأمراء صاح فيهم: أن يغتسل هو وإياهم بما يزيل ما وضعوه على جلودهم ثم يدخل هو وإياهم في النار فمن أكلت منهما فهو مخذول من الله، فانخذلوا ونكلوا وكُشِفُوا وهدم الله بدعتهم وضلالهم، ولها نظائر في التاريخ.

فشيخ الإسلام هنا نظر للمسألة من جهة أن القائم لله في حال يكون كسره كسر للدين وهدم للسنة واضمحلال للشريعة وتبديل للملة، فإن كان القائم في هذه اللحظة مضطرًا لله قائمًا به وله، متعلقًا به متوكلًا عليه مستنزلًا نصره ومستمطرًا معونته ومستمدًا مدده، فإن اللطف لا يتخلف، والنصر لا يتأخر، والفتح لا يبطئ، فتلك سنة ماضية جعلها الله ناموسًا لكونه، فالسنة الشرعية غالبة للكونية في حالة الاضطرار لإقامة الدين ممن يستحق ذلك، وكلٌّ بيد الله الحكيم المدبر المتصرف الحي القيوم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولينتبه المؤمن إلى مسألة وهي: اشتباه علم التوكل بحال التوكل، فكثير من الناس يعرف التوكل وحقيقته وتفاصيله فيظنّ أنه متوكل، وحقيقة حاله أنه ليس من أهل التوكل(١)! فحال التوكل: أمر آخر من وراء العلم به. وهذا كمعرفة المحبة والعلم بها وأسبابها ودواعيها، وحال المحب العاشق وراء ذلك، وكمعرفة علم الخوف، وحال الخائف وراء ذلك، وهو شبيه بمعرفة المريض ماهيَّة الصحة وحقيقتها، وحاله بخلافها.

وفي هذا الباب يكثر اشتباه الدعاوى بالحقائق، والعوارض بالمطالب، والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والتوكل من أعلى المقامات تعلقًا بالأسماء الحسنى، فإن له تعلقًا خاصًّا بعامة أسماء الأفعال وأسماء الصفات، فله تعلق باسم الغفار والتواب والعفو والرءوف والرحيم والفتاح والوهّاب والرازق والمعطي والمحسن والمعز والمذل والخافض والرافع والمانع، وتعلّق بأسماء القدرة والإرادة، وفي تعلقه من جهة توكله على الله في إذلال أعداء دينه، وخفضهم ومنعهم أسباب النصر. أما تعلقه باسم الوكيل فظاهر، وله تعلق عام بجميع الأسماء الحسنى، ولهذا فسره من فسره من الأئمة بأنه المعرفة بالله، وإنما أراد أنه بحسب معرفة العبد يصح له مقام التوكل، وكلما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى»(٢).

---

(١) فالعلم المجرد لا يكفي بل لابد من العمل به.

(٢) المدارج (٢/ ٣٤٩ـ ٣٥٣، ٣٧١ـ ٣٧٣) باختصار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا والتوكل دليل صحة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢] فذكرُ اسم الإيمان هاهنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل. وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، فكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا فهو دليل على ضعف الإيمان ولابد.

والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية(١).

«والرسل عليهم السلام قالوا لقومهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم: ١٢]، فعجبوا من تركهم التوكل على الله وقد هداهم، وأخبروا أن ذلك لا يكون أبدًا، فالهداية والتوكل متلازمان. فصاحب الحق لعلمه بالحق ولثقته بأن الله وليّ الحق وناصره؛ مضطر إلى توكله على الله، لا يجد بدًّا من توكله، فإن التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله. أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه.

---

(١) انظر تفصيلها في طريق الهجرتين (٢/ ٥٥٧-٥٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهما جِمَاعُه، وإن كان التوكل أَدْخَل في عمل القلب من علمه، كما قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. ولكن لابد فيه من العلم، وهو إما شرطٌ فيه، أو جزءٌ من ماهيّته.

والمقصود أن القلب متى كان على الحق كان أعظم لطمأنينته ووثوقه بأن الله وليّه وناصره، وسكونه إليه، فما له ألا يتوكل على ربه؟! وإذا كان على الباطل علمًا وعملاً أو أحدهما لم يكن مطمئنًا واثقًا بربّه، فإن الله سبحانه لا يتولى الباطل، ولا ينصره، ولا يُنسب إليه بوجه، فهو منقطع النسبة إليه بالكلية، فإنه سبحانه هو الحق، وقوله الحق، ودينه الحق، ووعده حق، ولقاؤه حق، وفعله كله حق. ليس في أفعاله وأقواله شيء باطل، فلما كان الباطل لا يتعلق به سبحانه، بل هو مقطوع عنه البتّة؛ كان صاحبه كذلك. ومن لم يكن له تعلّق بالله، وكان منقطعًا عن ربه؛ لم يكن الله وليّه ولا ناصره ولا وكيله.

فتدبر هذا السرّ العظيم في اقتران التوكل والكفاية بالحق والهدى، وارتباط أحدهما بالآخر، وهذه الفائدة السَّرِيَّة[١] حقيقةٌ أن تُودَع في خزانة القلب لشدة الحاجة إليها، والله المستعان وعليه التكلان[٢].

فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال

---

(١) السَّرِية: الشريفة الجليلة.

(٢) وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فالعلم الصحيح مع العمل به موجبان بإذن الله للمعونة الإلهية، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن؛ فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل»(١)(٢).

ومن أعظم فضائل التوكل مدح أهله بمحبة الله لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، «وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه، ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه، فَمَنِ الله تعالى حسبه وكافيه ومُحبُّه ومُراعيه؛ فقد فاز الفوز العظيم، فإن المحبوب لا يُعذَّب ولا يُبعد ولا يُحجب»(٣). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] أي: عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى ذمامه وحماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، وكل ما سوى الله فهو عبد مُسخَّر، وحاجته مثل حاجة أمثاله من المخلوقين، لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ويكفي في فضائل التوكل وثماره أنه سبب لدخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **«عُرِضَتْ علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد(٤)، إذ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى**

---

(١) فكأن التوكل قاعدة وغذاء لبقية مراتب الدين ومقامات الإيمان.

(٢) طريق الهجرتين، ابن القيم (٢/ ٥٥٧-٥٦٢) باختصار.

(٣) الإحياء (٢/ ١٥٤٠).

(٤) وفيه فائدة جليلة: وهي أن العبرة ليست بكثرة الأتباع، بل العبرة بما وافق الحق ولو =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقومه[١]، **فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب»**. ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلِدُوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: **«هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون**[٢] **وعلى ربهم يتوكلون»**، فقام عكَّاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **«أنت منهم»**، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **«سبقك بها عُكّاشة»**[٣].

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين مرفوعًا وصفُ السبعين ألفًا بأنهم

=

كنت لوحدك، كذلك فيه عزاء للدعاة الذين لم يروا أثر دعوتهم في الناس، فهذا نبي مرسل مسدد يوحى إليه ثم لم يستجب له أحد، بل بعض الأنبياء قد قتلتهم أقوامهم. وقد يكون في ذلك خير للداعي إلى ربه، وقد تتأخر ثمرة دعوته إلى بعد مماته ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

(١) وفيه فضيلة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وقومه.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه الثلاث في قوادح التوكل بمشيئة الله وعونه.

(٣) وهو عكّاشة بن محصن الأسدي، من الفرسان المعدودين، واستشهد في قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الأسدي، ثم أسلم طليحة بعد ذلك. وأولى الأقوال في قوله: **«سبقك بها عكاشة»** أي إلى إحراز تلك الصفات المستلزمة لتمام التوكل، فليس عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة، كما ذكره ابن بطال والقرطبي، وإليه مال شيخ الإسلام. وانظر: تيسير العزيز الحميد (١١٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر(١)، وفيهما عنه مرفوعًا: **«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة»**(٢).

وبحمد الله فقد جاء في أحاديث أخر زيادة على هؤلاء السبعين ألفًا، فعند أحمد والبيهقي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السبعين ألفًا: فذكره وزاد: **«فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا»**(٣).

بل وهناك زيادة بحمد الله كما في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«وعدني ربي أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي»**(٤)، الله أكبر ولله الحمد، فلا تسل عن هذه الحثيات، نسأل الله الكريم من فضله.

وفي حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أُعطيتُ سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدتُ ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا»**(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أحمد (٨٧٠٧)، وصححه الألباني في ظلال الجنة. وله زيادة لا تصح بلفظ **«وما أرى بقي من أمتي شيء»** السلسلة الضعيفة (١٩٧٦).

(٤) أحمد (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٧٩).

(٥) وفي سنده مقال، وله شاهد صحيح من حديث عامر بن عمير وقد صحح إسناده =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي حديث الشفاعة المتفق على صحته من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا وفيه: **«فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يُقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشفَّعْ، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أُمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»** ثم قال: **«والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر، أو كما بين مكة وبُصْرى»**[(١)] فصلى الله وسلم وبارك على من خص أمته بهذه الدعوة الملحة في أعظم المواطن وأكرم المواقف.

هذا والتوكل مقترن بمراتب الدين الثلاث وبشعائره العظام، ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] شرط التوكل لتحقيق الإيمان والإسلام، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣]. أما علاقته بالإحسان فتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا

=

البوصيري فيما حكاه عن شيخه العراقي في إتحاف الخيرة المهرة، باب من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب (٨/ ٢٤٤)، وفيه عن عبد الرحمن بن أبي بكر، وعمرو بن حزم.

(١) متفق عليه. البخاري (٦/ ٨٤) (٤٧١٢)، مسلم (١/ ١٨٥، ١٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الآية وصف المؤمنين حقًّا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده»(١).

أما علاقته بشعائر الإسلام العظام وأهدافه الكبرى؛ فمن ذلك ارتباطه بالهداية. وتأمل قول الرسل لقومهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢] فعجبوا من تركهم التوكل على الله وقد هداهم، وأخبروا أن ذلك لا يكون أبدًا(٢)، فالعبد آفته إما من عدم الهداية، وإما من عدم التوكل، فإذا جمع التوكل إلى الهداية، فقد جمع الإيمان كله(٣).

وله علاقة بالتقوى كما قال الحق سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] أي كافيه، فجعل التوكل سببًا للكفاية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ١. ٣]، فقرن التقوى بالتوكل لترتب أحدهما على الآخر ولزومه وتضمنه له.

وللتوكل علاقة بالدعاء بشقيه الثناء والمسألة، وهذا كثير في أدعية المرسلين، فمن دعاء الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٩٦).

(٢) طريق الهجرتين (٢٣٩).

(٣) المدارج (٢/ ١٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الممتحنة: ٤]، ومن دعاء شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ومن دعاء يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقال الرسل الذين كذبهم أقوامهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢] ومن دعاء نبينا محمد ﷺ: **«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت»**(١).

والتوكل مقرون بالصبر، فمن ذلك قول المرسلين: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١١، ١٢]، وقال سبحانه واصفًا عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢] [العنكبوت: ٥٩]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونص على التوكل وإن كان داخلاً في الصبر؛ لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به»(٢).

وأما اقترانه بالعبادة فكثير جدًّا بل لا تقوم العبادة إلا على التوكل؛ فهو ساقها وعمودها، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى في ختام سورة الزواجر والقوارع سورة هود: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

(١) متفق عليه. البخاري (١١٢٠)، مسلم (٧٦٩).

(٢) وانظر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ في تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٧٠، ٧١) فقد بسط القول في ذلك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ويروى عن نبينا محمد ﷺ أنه قال عند ذبح أضحيته: «**اللهم هذا منك ولك**»(١)، قال شيخ الإسلام: فإن قوله: «**منك**» هو معنى التوكل والاستعانة، وقوله: «**لك**» هو معنى العبادة(٢).

وقد أمر الله جميع المرسلين بالتوكل عليه وحده، فمن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، وقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، والآيات كثيرة جدًّا في الأمر بالتوكل.

«والتوكل هو شعار المؤمنين وقد جعله الله شعارًا لهم ومدحة، فمن ذلك قوله تعالى في سبعة مواطن من القرآن الكريم: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢، ١٦١، المائدة: ١١، التوبة: ٢٥١، إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠، التغابن: ١٣]، وقال تعالى في سياق مدحه لتوكل المرسلين وأتباعهم: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ في ثلاثة مواطن [يوسف: ٦٧، إبراهيم:

---

(١) أبو داود (٢٧٧٨)، وابن ماجه (٣١٢١) وفي سنده محمد بن إسحاق، وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) التوحيد (٩٩) عن التوكل، د/الدميجي (٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢، الزمر: ٣٨]، ولما أثنى الله على المؤمنين في صدر سورة الأنفال وذكر من صفاتهم التوكل، ختم ذلك المدح الرباني بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

والعبد لا يستغني عن ربه طرفة عين، فثبتت ضرورة حاجته وافتقاره وما ترتب على ذلك من ضرورة توكله على ربه وسيده ومولاه ومعينه وناصره وهاديه وهو الإله الحق المبين، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا ليس لها نظير، فتُقاس به، ولكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كبيرة، فإن حقيقة العبد: قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذَّات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك.. وأما إلهه فلابد منه في كل حال، وفي كل وقت، وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] وكانت أعظم آية في القرآن: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»(١).

والأمور كلها بيد الله تعالى وحده فكيف تُسند القلوب والتوجهات لغيره؟! قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن

(١) التوحيد (٧٧) عن التوكل (٧٩)، وسيأتي بسط ذلك في باب الافتقار، إن شاء الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

والعبد إذا تعلّق بغير الله عاد ذلك بالضرر والخذلان عليه، فمن توكل على غير الله وكله الله إليه فباء بالخسار والخيبة، قال شيخ الإسلام: «وكل من أحب شيئًا دون الله لغير الله؛ فإن مضرّته أكثر من منفعته، فصارت المخلوقات وبالاً عليه، إلا ما كان لله، وفي الله، فإنه كمال وجمال للعبد[(١)]، وتأمل قول الله تبارك وتعالى في بيان هلاك المتعلقين بغيره من جهة ما رجوا، وخيبتهم من حيث أمّلوا: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢] أي بخلاف ما ظنوا فيهم. وقال جل وعز: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١] أي غير تباب وخيبة، وقال صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣] أي غير خسارة وخيبة، وقال صالح عليه السلام: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾

(١) التوحيد (٨١)، وانظر: الفتاوى (١/ ٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[هود: ٦٣] أي بصارة في نسبتكم للخسارة، ومنه التفسيق والتفجير أي النسبة إلى الفسق والفجور(١).

وقال ابن تيمية: «ما علّق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خُذل، وهذان الوجهان في المخلوقات نظير العبادة والاستعانة في الخالق، فلما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كان صلاح العبد في عبادة الله واستعانته به، وكان في عبادة ما سواه والاستعانة بما سواه مضرّته وهلكته وفساده»(٢).

وللتوكل ثمرات يانعة جليلة جسيمة، منها: تحقيق الإيمان، ومنها طمأنينة النفس وارتياح القلب، وما أجمل قول المؤمنين: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ومنها كفاية الله للمتوكل جميع شؤونه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم: «فانظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل ولم يجعله لغيره، وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عنده، وأحبها إليه»(٣)، وقال تعالى:

---

(١) بمعناه عن مختصر تفسير البغوي، د/ عبد الله الزيد (٤٣٠)، وقد بذل في اختصاره جهدًا مشكورًا، وهو مطبوع في مجلد واحد (مضغوط).

(٢) كتاب التوحيد لابن تيمية (٨٢).

(٣) المدارج (٢/ ١٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين، فلا تحتاجون معه إلى أحد(١).

ومن ثمار التوكل أنه من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان آخر قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أُلقي في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل»(٢)، وقال بشر بن الحارث: «لما رُفع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليُلقى في النار عرض له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا إبراهيم، هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا»(٣). ولكن ماذا كانت النتيجة؟! قال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩- ٧٠]، قال بعضهم: لو لم يقل: وسلامًا؛ لمات إبراهيم من شدة بردها، ولو لم يخص نار إبراهيم لما انتفع الناس بعده بنار.

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧). ويخطئ من حمل الآية على أن الله حسب النبي والمؤمنين حسبه كذلك فهو معنى باطل، فإن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، ففرّق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده. زاد المعاد، ابن القيم (١/ ٣٦، ٣٧)، وقد بسط الاستدلال والبرهنة.

(٢) البخاري (٤٥٦٤).

(٣) ابن جرير في تفسيره (١٧/ ٤٠)، البغوي في تفسيره (٤/ ٢٤٣)، البيهقي في الشعب (١٠٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما قالها نبينا محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] كانت النتيجة: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ومن الثمار للتوكل محبة الله تعالى للمتوكلين، ومن الثمار قوّة القلب وشجاعته وثباته وتهديد الأعداء ورباطة جأشه.

ومنها أنه يورث الصبر وقوّة التحمل، كذلك يورث النصر والتمكين كما قال جل شأنه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وتأمل مغازي رسول الله ﷺ ترى برهان ذلك.

ومن ثماره تقوية العزيمة والثبات على الحق، ومنها الوقاية من تسلّط الشيطان كما قال تعالى للشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

ومنها أنه سبب لدفع السحر والحسد والعين، قال ابن القيم رحمه الله في الأسباب الدافعة لذلك بإذن الله: «السبب الرابع: التوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، ومن كان الله كافيه وواقيه؛ فلا مطمع لعدوه فيه، ولا يضرّه إلا أذى لابدّ منه، كالحر والبرد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده؛ فلا يكون أبدًا»[١]، وتأمل كيف ختم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وصيته لبنيه ألا يدخلوا من باب واحد تقاة العين وخوفًا عليهم منها لجمالهم وهيبتهم، فقال بعد هذا كله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

ومن ثمار التوكل أنه يورث الرزق ويدرّه وينميه بإذن الله، ولما توكل الصحابة على ربهم كافأهم بنعمته وفضله وحفظه لهم ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وحديث عمر: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[٢] أصلٌ في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق، كما قاله أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

ومن ثماره طرد داء العجب والكبر، لعلمه أنه بالله لا بنفسه، ومنها أنه يطرد التطيّر والتشاؤم والأمراض القلبية لقوة التعلّق بمن بيده مقاليد الأمور، ومنها أنه يورث الرضا بالقضاء كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة: «هو الرجل

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٦٧).

(٢) أحمد (١/ ٣٠)، الترمذي (٢٣٤٤)، وقال: حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، الحاكم (٤/ ٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) جامع العلوم والحكم (٤٠٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلّم»[١].

وقال النبي ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن...»**[٢]، قال ابن رجب رحمه الله: «اعلم أن ثمرة التوكل الرضا بالقضاء، فمن وكل أموره إلى الله، ورضي بما يقضيه له؛ فقد حقّق التوكل»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «سألت شيخنا ـ أي ابن تيمية ـ هل يدخل في ذلك قضاء الذنب؟ فقال: نعم بشرطه. فأجمل في لفظ (بشرطه) ما يترتب على الذنب من الآثار المحبوبة من التوبة والانكسار والندم والخضوع والذل والبكاء وغير ذلك»[٤].

وأعظم ثمار التوكل أنه سبب لدخول الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في حديث السبعين ألفًا[٥] وقد سبق الكلام عليه[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٣٨/ ١٢٣).

(٢) مسلم (٢٩٩٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (٤١٤).

(٤) الفوائد (٨٧). وسيأتي بسط ذلك في كتاب الرضا بالله تعالى.

(٥) متفق عليه. البخاري (٥٧٠٥)، الفتح (١٠/ ١٦٤)، مسلم (٢٢٠).

(٦) انظر للتوسع في فضله وثماره: التوكل وعلاقته بالأسباب، د/الدميجي (٦٥-١٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أقسام التوكل

أولاً: التوكل على الله تعالى: وهذا بحسب موضوعه ينقسم إلى أربعة أقسام:

١. توكل على الله عز وجل في استقامة نفسه وهدايتها، وتجريد التوحيد، والالتزام بدين الله تعالى ظاهرًا وباطنًا، دون أن يحاول التأثير في الآخرين، بمعنى التوكل على الله في إصلاح نفسه دون النظر إلى غيره.

٢. توكل على الله تعالى في استقامة النفس ـ كما تقدم ـ بالإضافة إلى التوكل عليه تعالى في إقامة دين الله في الأرض، ودفع الفساد، وقمع البدع، وجهاد الكفار والمنافقين، والاهتمام بمصالح المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتأثير في الآخرين حتى يعبد الله وحده، وهذا هو توكل الأنبياء وتوكل ورثتهم من بعدهم من العلماء، وهذا أعظم أنواع التوكل وأشرفها وأنفعها.

قال العلامة ابن سعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب. وهو التوكل على الله تعالى في إقامة دينه ونصره، وهداية عبيده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل»(١).

٣. توكل على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية، كمن يتوكل في حصول رزق أو عافية أو زوجة أو

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣/ ١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولد أو نصر على عدو ونحو ذلك، فهذا تحصل له الكفاية فيما توكل عليه في الدنيا دون الآخرة، إلا إذا نوى الاستعانة بذلك على طاعة الله عز وجل، وهذا توكل فطري كتوكل العجماوات من الطير والحيوان على الله في جلب مصالحها ودفع مضارها.

قال ابن القيم رحمه الله: «وبين النوعين ـ يعني الثاني والثالث ـ من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله؛ كفاه الله النوع الثالث تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الثالث دون الثاني كفاه أيضًا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه»(١).

فمن شرف التوكل على الله في إقامة الدين في الأرض أن هذا التوكل ينتظم النوع الثالث وهو جلب المصالح التي لابد منها دون العكس.

٤ـ توكل على الله في جلب محرم أو دفع مأمور به.

كمن يتوكل على الله في حصول فاحشة أو إثم، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبًا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يُلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلّمهم ويظفرهم بمطالبهم(٢).

فهؤلاء يحصل لهم مطلوبهم غالبًا، لكنهم آثمون مجزيّون عليه في الآخرة.

---

(١) الفوائد (٧١).

(٢) المدارج (٢/ ١١٣، ١١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويظهر هذا النوع أكثر فيمن كانت معاصيهم ناتجة عن تأويل فاسد أو شبهة مضلّة(١).

وهنا تنبيه مهم، وهو أن بعض الناس مغبون في توكله وإن كان قد توكل على الله حق التوكل، كمن صرف توكله إلى حالة جزئية استفرغ فيها قوّة توكله، ويمكنه فعلها بأيسر شيء ـ مع التوكل ـ وتفريغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان والعلم ونصر الدين، وذلك كمن يصرف همّته وتوكله ودعاءه إلى وجع يمكن مداواته بأدنى شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف أو نصف درهم، ويدع صرفه إلى نصرة الدين وزيادة إيمانه ومصالح المسلمين(٢).

وإذا علمـــت بأنـــه متفاضـــلٌ فاشـغل فـؤادك بالـذي هـو أفْضَـلُ

والمقصود هو من يعالج وساوس نفسه ويجتهد في جمعيتها على تحقيق التوكل في أمر يسير، وهذا لا يعني التقليل من أهمية ذلك التوكل والاجتهاد في تحقيقه في كل أمور الدنيا والآخرة، إنما المقصود هو التنبيه على أن النفس البشرية لا تستطيع تحصيل الاجتهاد في تحقيق كمال التوكل في جميع الأمور لعوارض الضعف البشري لذلك كان على العاقل تحقيق الأهم فالمهم، فمن الفقه النفيس فقه الأولويات خاصة في هذا الزمان الذي اختلطت فيه المفاهيم وتداخلت في أحشائه المتناقضات والسعيد مَن وفقه الله وهداه.

---

(١) وانظر تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٦) (١٣/ ٣٢٤ وما بعدها).

(٢) المدارج (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: التوكل على غير الله تعالى:

وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

١.التوكل الشركي: وهو نوعان أيضًا:

أ. التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى(١).

ويسمّى هذا النوع؛ توكل السّرِّ؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريًّا في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبيًّا أو وليًّا أو طاغوتًا عدوًّا لله تعالى(٢).

ب.التوكل على غير الله في الأمور التي يقدر عليها ـ فيما يظن ـ المتوكل عليه، وهذا شرك أصغر(٣).

وذلك كالتوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكّل على أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، فهذا شرك

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٩٧، ٤٩٨).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٦/ ٥٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٤٠). وهذا شيء زائد على الاعتماد اليسير، وفرق التوكل عن الاعتماد أن التوكل عمل القلب بخلاف الاعتماد فلا يلزم منه تحرك القلب به بل مجرد عمل الجوارح وفق ما هو مأذون شرعًا مع كمال توكل القلب على الله وحده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خفي[١]، ولذلك قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، لقوّة تعلّق القلب به واعتماده عليه.

أما لو اعتمد عليه باعتبار أنه سبب، وأن الله تعالى هو الذي قدّر ذلك على يده؛ فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمُعْتَمد عليه أثر صحيح في حصوله.

٢.الوكالة الجائزة:

وهي أن يوكل الإنسان في فعل مقدور عليه، والوَكالةُ كما قال الفقهاء: هي إنابة جائز التصرف مثله فيما تصح فيه النيابة. وقيل: إقامة الشخص غيره مقام نفسه مطلقًا أو مقيدًا[٢].

والوكالة بهذا المعنى جائزة بالكتاب والسنة والإجماع، ووكل رسول الله ﷺ عمالاً وحفاظًا.

لكن ليس له أن يتوكّل عليه وإن وكّله، بل يعتمد على الله تعالى في تيسير ما وكّله فيه[٣]؛ لأن المخلوق لا يستقل بشيء بل هو مجرد سبب[٤].

---

(١) السابق (٤٩٨).

(٢) انظر: المغني والشرح الكبير (٥/ ٢١٠).

(٣) رسالة تحقيق التوكل ضمن جامع الرسائل لشيخ الإسلام (٨٩).

(٤) التوكل، د/الدميجي (١٥١-١٥٧) باختصار وتصرف يسير.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل بل التوكل من جملتها

خلاصة المسألة كما قررها شيخ الإسلام ابن تيمية أن:

١. الالتفات إلى الأسباب؛ شرك في التوحيد.

٢. محو الأسباب أن تكون أسبابًا؛ نقص في العقل.

٣. الإعراض عن الأسباب المأمور بها؛ قدح في الشرع.

وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل على نوعين ـ أي بحسب المتوكَّل به ـ:

أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

الثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

---

(١) الفتاوى (٨/ ٥٢٨)، (١٠/ ٣٥). وقد سبق الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذه العبارة المحكمة بقوله: «إن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها؛ شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسبابه؛ تغيير في وجه العقل، وانغماس في غمرة الجهل». (الإحياء مع شرحه ٤/ ٢٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حقَّ توكله، كفاه النوع الأول تمام الكفاية. ومتى توكّل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه(١)، فأعظم التوكل عليه: التوكل في الهداية، وتجريد التوحيد، وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم(٢).

والتوكل تارة يكونُ توكُّلَ اضطرارٍ وإلجاءٍ، بحيث لا يجد العبد ملجأً ولا وَزَرًا إلا التوكُّلَ، كما إذا ضاقت عليه الأسباب، وضاقت عليه نفسه، وظنّ أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلّفُ عنه الفرج والتيسير البتة.

المراد: فإن كان السبب مأمورًا به ذُمَّ على تركه. وإن قام بالسبب وترَكَ التوكل ذُمَّ على تركه أيضًا، فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما والجمع بينهما.

وإن كان السبب محرمًا حَرُمَ عليه مباشرته، وتوحَّدَ السببُ في حقّه في التوكل، فلم يبق له سبب سواه، فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق(٣).

---

(١) باعتبار أن المتوكل هنا قد توكل عليه في النوع الأول فقط دون الثاني؛ لأن الكمال في اجتماعهما، بل لا يتحقق الثاني تمامًا إلا بانتظامه مع الأول، وهذا هو الكمال.

(٢) كما قالوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

(٣) ومن فَقِهَ هذا انجلت عن عينيه قلبه غشاوة المشكلات في الجمع بين التوكل والسبب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن كان السبب مباحًا، نظرت: هل يُضعف قيامك به التوكل أو لا يُضعفه؟ فإن أضعفه وفرّق عليك قلبك، وشتّت همّك؛ فتركه أولى، وإن لم يُضعفه؛ فمباشرته أولى؛ لأن حِكمة أحكم الحاكمين[١] اقتضت ربط المسبَّبِ به، فلا تُعطِّلْ حكمتَهُ مهما أمكنك القيام بها، ولا سيما إذا فعلته عبودية، فتكون قد أتيت بعبودية القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنويِّ به القُربة.

والذي يُحقق التوكل: القيامُ بالأسباب المأمور بها، فمن عطّلها لم يصحّ توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يُحقق رجاءه، فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا[٢]، كما أن من عطّلها يكون توكلُه عجزًا، وعجزُه توكلاً!

وسرُّ التوكل وحقيقته؛ اعتمادُ القلب على الله وحده، فلا يضرّه مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا يتفق قوله: توكلت على الله، مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به. فتوكُّلُ اللسان شيء، وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء، وتوبة القلبُ إن لم ينطق اللسان شيء. فقول العبد: توكلت على الله، مع اعتماد قلبه على غيره، مثل قوله: تبت إلى الله، وهو مُصرّ على معصيته، مرتكب لها»[٣].

وقال تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى في شرحه للحديث القدسي: «**يا**

---

(١) ولابن القيم رحمه الله مصنف مستقل بهذا الخصوص مع اشتماله على فوائد أخرى وهو كتابه (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل).

(٢) وقد سبق تفصيل ذلك في باب الرجاء.

(٣) الفوائد (١٢٥، ١٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكُم، وكلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم»(١): «هذا يقتضي أصلين عظيمين:

أحدهما: وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمّن جلب المنفعة كالطعام، ودفع المضرة كاللباس، وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة. وإنما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ [النساء: ٥]، فالمأمور به هو المقدور للعباد، وكذلك قوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤ - ١٦]، وقوله: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]، وقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، فذمَّ من يترك المأمور به اكتفاء بما يجري به القدر.

ومن هنا يُعرف أن السبب المأمور به أو المباح؛ لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب، إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تامٌ لحصول المطلوب، ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سببًا إلا بمشيئة الله تعالى(٢)، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) مسلم (٢٥٧٧) وهو أشرف أحاديث أهل الشام، وهذا حديث جليل جدًّا.

(٢) فلابد من اكتمال الأسباب وانتفاء الموانع، وهذه لله وحده لا شريك له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل؛ فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل، وأخلّ بواجب التوحيد، ولهذا يُخذلُ أمثالُ هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب(١)، فمن رجا نصرًا أو رزقًا من غير الله؛ خذله الله، كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يرجوّن عبدٌ إلا ربه، ولا يخافنّ إلا ذنبه، وقد قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وهذا كما أن من أخذ يدخل في التوكل تاركًا لما أمر الله به من الأسباب فهو أيضًا جاهل ظالم، عاصٍ لله بترك ما أمره، فإن فِعْلَ المأمور به عبادة لله. وقد قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، فليس من فعل شيئًا أمر به وترك ما أمر به من التوكل بأعظم ذنبًا ممن فعل توكلاً أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب؛ إذ كلاهما مخلّ ببعض ما وجب عليه،

(١) حتى لو كانت أسبابهم مباحة، بل قد يُعان المتوكلون على الله في أسبابهم المحرمة، كمن توكل على الله في الإعانة على سرقة ونحوها، فيُعان لتحقيق توكله ويستحق العقاب والسخط من جهة مباشرته للمعصية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهما مع اشتراكهما في جنس الذنب؛ فقد يكون هذا ألوم، وقد يكون الآخر، مع أن التوكل في الحقيقة من جملة الأسباب.

وقد روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قضى بين رجلين. فقال المقضي عليه: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: **«إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإن غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»**(١)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**(٢).

ففي قوله ﷺ: **«احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»** أمر بالتسبب بالمأمور به، وهو الحرص على المنافع، وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله، فمن اكتفى بأحدهما فقد عصى أحد الأمرين، ونهى عن العجز الذي هو ضد الكَيْس، كما قال في الحديث الشامي: **«الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»**(٣)، فالعاجز في

(١) أحمد (٢٣٩٨٣)، وأبو داود (٣٦٢٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٥٩).

(٢) مسلم (٢٦٦٤)، وانظر: زاد المعاد (٢/ ٣٥٨) فقد بسط القول فيه، وسبق بيان طرف منه في باب الإرادة.

(٣) الترمذي وحسنه (٢٤٥٩) وسنده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث مقابل الكيِّس[١]. ومن قال: العاجز هو مقابل البَرّ فقد حرّف الحديث ولم يفهم معناه، ومنه الحديث: «**كل شيء بِقَدَرٍ حتى العجز والكَيْس**»[٢].

ومن ذلك ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزودون، يقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس[٣]، فقال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧][٤]، فمن فعل ما أُمر به من التزود فاستعان به على طاعة الله، وأحسنَ منه إلى من يكون محتاجًا؛ كان مطيعًا لله في هذين الأمرين، بخلاف من ترك ذلك ملتفتًا إلى أزواد الحجيج، كَلاًّ على الناس، وإن كان مع هذا قلبُهُ غير ملتفتٍ إلى معيّن فهو ملتفتٌ في الجملة، لكن إن كان المتزوّد غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله، ومواساة المحتاج؛ فقد يكون في تركه لما أُمر به من جنس هذا التارك للتزود المأمور به.

وفي هذه النصوص بيان غلط طوائف:

طائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعدّه نقصًا أو قدحًا في التوحيد

---

(١) فائدة لغوية: العبارة الدارجة: هذا الشيء كويِّس، صحيحة لغة، فأصلها من الكيس، وهو الحزم الذي يثمر الجودة، وهي في الأصل: كُوَيّس، فخُففت الهمزة وبقيت الواو: كويِّس.

(٢) مسلم (٢٦٥٥).

(٣) وهو حال كثير من المتصوفة. والله المستعان.

(٤) أبو داود (١٧٣٢) وصححه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتوكل، وأن تركه من كمال التوحيد. وهم في ذلك ملبوسٌ عليهم. وقد يقترن بالغلط إخلاد النفس إلى البطالة، ولهذا تجد عامّة هذا الضرب، التاركين لما أُمروا به من الأسباب؛ يتعلقون بأسباب دون ذلك، فإما أن يعلّقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة، وإما أن يتركوا لأجل ما تبتَّلُوا له من الغلو في التوكل واجباتٍ أو مستحبات أنفع لهم من ذلك، كمن يصرفُ همّته في توكله إلى شفاء مرضه بلا دواء، أو نيل رزقه بلا سعي، فقد يحصل ذلك، لكن كانت مباشرة الدواء الخفيف، والسعي اليسير، وصرف تلك الهمّة والتوجّه في عمل صالح؛ أنفع له، بل قد يكون أوجب عليه من تبتّله لهذا الأمر اليسير الذي قدره درهم أو نحوه.

وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضًا نقصًا وانقطاعًا عن الخاصّة[١] ظنًّا أن ملاحظة ما فُرغ منه في القدر هو حال الخاصة! وقد قال في هذا الحديث: **«كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم»** وقال: **«فاستكسوني أكسكم»**، وفي الطبراني أو غيره عن النبي ﷺ قال: **«ليسأل أحدكم ربَّه حاجته كلها، حتى شسع نعله إذا انقطع، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر»**[٢].

وهذا[٣] قد يلزمه أن يجعل أيضًا استهداء الله وعمله بطاعته من ذلك، وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقًا[٤] بل دفع المخلوق والمأمور، وإنما غلطوا

---

(١) أي خاصة عباد الله وهم الأولياء السابقون.

(٢) ابن حبان في صحيحه (٨٩٤)، والبيهقي في الشعب (١٠٨٠). وضعَّفه الألباني.

(٣) أي من اطّرح التوكل والدعاء.

(٤) فيهدم الدين جملة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من حيث ظنّوا أن سبق التقدير يمنع أن يكون بالسبب المأمور به، كمن يتزندق فيترك الأعمال الواجبة بناء على أن القدر قد سبق بأهل السعادة وأهل الشقاوة، ولم يعلم أن القدر سبق بالأمور على ما هي عليه، فمن قدّره الله من أهل السعادة؛ كان مما قدّره أنه يُيَسِّرُه لعمل السعادة، ومن قدّره من أهل الشقاء؛ كان مما قدّره أنه ييسره لعمل أهل الشقاء، كما أجاب النبي ﷺ عن هذا السؤال في حديث علي بن أبي طالب وعمران بن حصين، وسراقة بن جُعْشُم، وغيرهم.

ومنه حديث الترمذي بسنده عن أبي خزامة عن أبيه قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورُقى نسترقي بها، وتُقاةً نتّقيها، هل تردّ من قدر الله شيئًا؟ فقال: **«هي من قدر الله»**(١).

وطائفة تظن أن التوكل إنما هو من مقامات الخاصة المتقرّبين إلى الله بالنوافل(٢)، وكذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها؛ كالحب والرجاء والخوف والشكر ونحو ذلك، وهذا ضلال مبين. بل جميع هذه الأمور فروض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان، ومن تركها بالكلية فهو: إما كافر، وإما منافق، لكن الناس هم فيها كما هم في الأعمال الظاهرة، فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك. وليس هؤلاء

---

(١) الحاكم (٨٢٢٣)، والترمذي (٢٠٦٥) وقال: حسن صحيح، وضعفه الألباني في التعليقات الرضية على الروضة الندية (٢/ ٢٢٨)، وفي ضعيف سنن ابن ماجه (٣٤٣٧).

(٢) أي يظنون أن التوكل مستحب وليس بواجب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعرضون عن هذه الأمور علمًا وعملاً بأقل لومًا من التاركين لِمَا أُمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبّسهم ببعض هذه الأعمال، بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه إلى من ترك المأمور من الأمور الباطنة والظاهرة، وإن كانت الأمور الباطنة مبتدأ الأمور الظاهرة وأصولها(١)، والأمور الظاهرة كمالها وفروعها التي لا تتم إلا بها»(٢).

«وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦] إلى قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] فمدحهم الله على الانتصار تارة، وعلى الصبر أخرى، فلما حمدهم الله على هذه الصفات من الإيمان والتوكل وانتصارهم إذا أصابهم البغي، والعفو والصبر ونحو ذلك؛ كان هذا دليلاً على أن ضد هذه الصفات ليس محمودًا بل مذمومًا، فإن هذه الصفات مستلزمة لعدم ضدّها.

وضد الانتصار: العجز، وضد الصبر: الجزع، فلا خير في العجز ولا في الجزع كما نجده في حال كثير من الناس، حتى بعض المتدينين إذا ظُلموا فلا هم ينتصرون ولا يصبرون، بل يعجزون ويجزعون، فالمؤمن لا يعجز عن مأمور، ولا يجزع من مقدور.

وذلك أن الإنسان بين أمرين: أمْر أمَرَ الله بفعله فعليه أن يفعله ويحرص عليه، ويستعين بالله ولا يعجز، وأمر أصيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر

(١) وقد سبق تفصيل ذلك في المقدمة.

(٢) الفتاوى (١٨/ ١٧٨-١٨٥) باختصار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه، ولا يجزع منه، ولهذا قال بعض العقلاء ـ ابن المقفع أو غيره ـ: الأمر أمران: أمر فيه حيلة، فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه، فلا تجزع منه. وهذا في جميع الأمور، لكن عند المؤمن الذي فيه حيلة: هو ما أمر الله به وأحبه له، فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلّف نفسًا إلا وسعها، وقد أمره بكل خير فيه له حيلة، وما لا حيلة فيه هو ما أصيب به من غير فعله»(١).

«والأعمال الباطنة كمحبة الله، والإخلاص له، والتوكل عليه، والرضا عنه ونحو ذلك؛ كلها أمور مأمور بها في حق الخاصة والعامة، لا يكون تركها محمودًا في حال أحد، وإن ارتقىٰ مقامه.

وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلّق بأمر الدين(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، وقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، وأمثال ذلك كثير.

وذلك لأنه لا يجلب منفعة، ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا

---

(١) الفتاوى (١٦/ ٣٧ـ٣٩) باختصار.

(٢) أي حتى وإن تعلّق بأمر الدين فهو منهي عنه، فهو سلبية وخمول وسوء ظن وعجز.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأمر الله به. نعم، لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يحزن على المصائب، كما قال النبي ﷺ: **«إن الله لا يؤاخذ على دمع العين، ولا على حزن القلب، ولكن يؤاخذ على هذا أو يرحم»** وأشار بيده إلى لسانه(١). وقال ﷺ: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب**»(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه، ويُحمد عليه، فيكون محمودًا من تلك الجهة، لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عمومًا؛ فهذا يُثاب على ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرّة؛ نُهي عنه، وإلا كان حَسْبُ صاحبه رفع الإثم عنه من جهة الحزن.

وأما إن أفضى إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله ورسوله به؛ كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى.

وأما المحبة والتوكل عليه والإخلاص له ونحو ذلك فكلها خير محض، وهي حسنة محبوبة في حق كل أحد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن قال: إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك إن أراد

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خروج الخاصة عنها؛ فإن هذه لا يخرج عنها مؤمن قط، وإنما يخرج عنها كافر أو منافق. ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها إلى خصوص وعموم، فللخاصة خاصها، وللعامة عامُّها»(١).

«والتوكل أعم من التوكل في مصالح الدنيا، فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وإرادته، وهذا أهم الأمور إليه، ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع؛ لأن هذين يجمعان الدين كله، ولهذا قال من قال من السلف: إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصّل، وجمع المفصل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد، كما في الحديث الذي في

---

(١) الفتاوى (١٠/ ١٤- ١٦) وهذا التفصيل وما شابهه من أحوذيات هذا اللوذعي يدل على رسوخ في دقائق أعمال القلوب، وعلوّ كعب في معضلات المشتبهات، لذلك فلا لوم عليّ أن سطرت عنه النقول العديدة الطويلة، ومن تأمل سيلان الآيات والأحاديث على أسَلَة يراعه وغزارتها ودقة فهمه لها مع سكبها على القلوب القريحة والأرواح العطشى؛ عرف المرام واستمكن من الدفّة. ومن قصد البحر استقل السواقيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله سبحانه: قسمت الصلاة بين عبدي نصفين؛ نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين؛ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: الرحمن الرحيم، يقول الله: أثنى عليّ عبدي، ويقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين؛ فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[(١)]، فالرب سبحانه له نصف الثناء والحمد[(٢)]، والعبد له نصف الدعاء والطلب، وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه، وما للعبد؛ فإياك نعبد: للرب، وإياك نستعين: للعبد.

والتوكل والاستعانة للعبد هو الطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة، فالاستعانة كالدعاء والمسألة، وقد روى الطبراني في كتابه الدعاء عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، إنما هي أربع؛ واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين خلقي، فأما التي لي؛ فتعبدني ولا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك؛ فعملك أُجازيك به أحوج ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك؛ فمنك الدعاء وعلي الإجابة[(٣)]، وأما التي بينك وبين خلقي؛ فائت**

---

(١) مسلم (٩٣٨).

(٢) أي النصف المتعلق بالثناء والحمد.

(٣) وهو الدعاء بمعناه العام؛ الثناء والمسألة، والإجابة تكون على الثناء بالأجر، وعلى المسألة بالإجابة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للناس ما تحب أن يأتوا إليك»[١].

وكون هذا لله وهذا للعبد هو باعتبار تعلّق المحبة والرضا ابتداءً، فإن العبد ابتداء يحب ويريد ما يراه ملائمًا له، والله تعالىٰ يحب ويرضىٰ ما هو الغاية المقصودة في رضاه، ويحب الوسيلة تبعًا لذلك، وإلا فكل مأمور به فمنفعته عائدة علىٰ العبد، وكل ذلك يحبه الله ويرضاه، وعلىٰ هذا فالذي ظنّ أن التوكل من مقامات العامة؛ ظن أن التوكل لا يُطلب به إلا حظوظ الدنيا، وهو غلط، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم.

وأيضًا فالتوكل من الأمور الدينية التي لا تتم الواجبات والمستحبات إلا بها، والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويرضاه، ويأمر به ويرضاه. فالتوكل محبوب لله، مرضي له، مأمور به دائمًا، لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين.

وأغلاط الناس في التوكل يجمعها أصل واحد: وهو أنهم ظنوا أن كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن تتوقف على أسباب مقدرة أيضًا تكون من العبد، ولم يعلموا أن الله سبحانه يقدّر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بها من أفعال العباد، وغير أفعالهم، ولهذا كان طرد قولهم يوجب تعطيل الأعمال بالكلية.

---

(١) أبو يعلى (٢٧٥٧)، والبزار (١٩) بسند ضعفه مخرج مجموع الفتاوى وقال: وجاء بلفظ: **«ثلاث خصال...»** عند الطبراني في الكبير (٦١٣٧)، وله شاهد عند البزار برقم (١٨) عن أبي هريرة بإسناد جيد. اهـ. بمعناه ملخصًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد سئل النبي ﷺ عن هذا الأصل مرات فأجاب عنه كما أخرجا في الصحيحين عن عمران بن حصين قال: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أعَلِمَ أهلَ الجنة من أهل النار؟ قال: «**نعم**» قالوا: ففيم العمل؟ قال: «**كلٌّ ميسر لما خلق له**»(١)، وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا في جنازة فيها رسول الله ﷺ، فجلس ومعه مِخْصَرَةٌ، فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال: «**ما من نفس منفوسة إلا وقد كُتب مكانُها من النار أو الجنة، إلا وقد كُتبت شقية أو سعيدة**» قال: فقال رجل من القوم: يا نبي الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان من أهل السعادة ليكوننّ إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة ليكوننّ إلى الشقاوة؟ قال: «**اعملوا، فكل ميسر**(٢) **لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون للسعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة**». ثم قرأ نبي الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠](٣). أخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد.

فبين ﷺ أن تقدّم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة، وشقاوة هذا بالأعمال السيئة، فإنه سبحانه يعلم الأمور

---

(١) متفق عليه.

(٢) وفي هذه الكلمة إجابة على السؤال الشائع: هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟ فالجواب النبوي: أنه لا مسيّر ولا مخيّر بل مُيَسَّرٌ. يسرنا الله تعالى لليسرى بمنه وكرمه.

(٣) متفق عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على ما هي عليه، وكذلك يكتبها، فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة، والشقي يشقى بالأعمال السيئة، فمن كان سعيدًا ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة، ومن كان شقيًّا ييسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة، وكلاهما ميسر لما خلق له. وهو ما يصير إليه من مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩].

وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه، وهو إرادته الدينية التي أُمروا بموجبها فذلك مذكور في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والله سبحانه قد بيّن في كتابه كل واحدة من: الكلمات، والأمر، والإرادة، والإذن، والكتاب، والحكم، والقضاء، والتحريم ونحو ذلك مما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي، وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية»(١).

«والمقصود هنا: أنه ﷺ بيّن أن العواقب التي خُلق لها الناس من سعادة وشقاوة ييسرون لها بالأعمال التي يصيرون بها إلىٰ ذلك، كما أن سائر المخلوقات كذلك، فهو سبحانه يخلق الولد وسائر الحيوان في الأرحام بما يقدره من اجتماع الأبوين علىٰ النكاح، واجتماع الماءين في الرحم، فلو قال

(١) ثم ذكر أمثلة من الكتاب والسنة على كل واحدة منهن باستفاضة. الفتاوى (١٠/ ٢٤-٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان: أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فإن كان قد قُضي لي بولد وُجِدَ، وإلا لم يوجد، ولا حاجة إلىٰ وطء؛ كان أحمق، بخلاف ما إذا وطئ وعزل الماء، فإن عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد إذا شاء الله، إذ قد يسبق الماء بغير اختياره.

ومن هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبيًا من العرب، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العُزْبة[١]، وأحببنا العزل، فسألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«ما عليكم ألا تفعلوا، فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة»**[٢].

وفي صحيح مسلم عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمنا وسانيتنا في النخل، وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل. فقال: **«اعزل عنها إن شئت فسيأتيها ما قُدِّرَ لها»**[٣].

وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الإنسان من غير أبوين كما خلق آدم، ومن خلقه من أب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير، ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٤] لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة.

وهذا الموضع وإن كان إنما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع ـ فقد وقع في

---

(١) وفي لفظ: «العزوبة».

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم (١٣٤).

(٤) وهذه من المسائل التي يُلْغَزُ بها، وقسمتها رباعية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كثير من دقه كثير من المشايخ المعظمين، يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أُمر به ونُهي عنه، ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل، والجري مع الحقيقة القدرية، وهذا من ضعف النور والفرقان لديه الذي يفرق بين ما أمر الله به وأحبه ورضيه، وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه، فيسوّي بين ما فرّق الله بينه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦] وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢][(١)] وأمثال ذلك.

---

(١) مما يجدر التنبيه إليه أن بعض القراء يتكاثر سرد الآيات ويود لو اكتفى المؤلف بواحدة منها تدل على المقصود بزعمه، وتراه إذا مر على صفحة فيها كلام رب العالمين وكلام المخلوقين تجاوز كلام ربه وقرأ ما بعده، وهذا من أعظم الجهل وأكبر الخذلان! فلا نسبة بين علوم الآية وهدايتها وإيمانياتها وأثرها على القلب والعلم والفكر والإيمان وبين غيرها مهما علا شأوه، ولو تدبرنا قول الله جل وعز: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى يفضي الأمر بغلاتهم إلى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور النبوي الإلهي الفرقاني الشرعي الذي دل عليه الكتاب والسنة، وبين ما يكون في الوجود من الأحوال التي تجري على أيدي الكفار والفجار، فيشهدون وجه الجمع من جهة كون الجميع بقضاء الله وقدره وربوبيته وإرادته العامة، وأنه داخل في ملكه، ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرّق الله به بين أوليائه وأعدائه، والأبرار والفجار، والمؤمنين والكافرين، وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الديني، وأهل المعصية الذين عصوا هذا الأمر. ويستشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ، أو بعض غلطات بعضهم(١).

= مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، لتغيّر حالنا ولصلح أمرنا والله المستعان. فالعلم النافع والهدى التام هو ما جاءنا من الوحي، فلا تزهد في الوحي الذي به وحده سعادة الأبد.

(١) روي عن بعض هؤلاء الجهلة الغلاة في الأمر الكوني القدري على حساب الأمر الديني الشرعي أن التتار لما دخلوا بلاد الإسلام أخذ ذلك المخذول بلجام قائد التتار سائرًا معه، ويقول: أنا مع القدر سائر! والآخر أقرَّ الخَبَثَ في أهله وتديَّثَ زعمًا أنه مع القدر! ونسي أن المشركين قد احتجوا بحجته فلم تغن عنهم من عذاب الله من شيء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على طريق الله السالكين سبيل الإرادة؛ إرادة الذين يريدون وجهه، فإنه قد دخل بسبب إهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه إلا الله، حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من أهل الظلم والعلو، كالذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من أهل العلو في الأرض والفساد، ظانّين أنهم إذا كانت لهم أحوال أثّروا بها في ذلك كانوا بذلك من أولياء

= ﴿نَحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥] أي يبلغون الأمر الديني الشرعي الذي تترتب عليه التبعات الدينية أمرًا ونهيًا وجزاؤها في الآخرة إحسانًا أو عقوبة. وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ورحم الله شيخ الإسلام ورحم عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمدًا وكل من ساعد في نشر علم هذا العالم الذي لا نزال نقتبس شيئًا من علومه التي فتح الله بها عليه وجمعنا به ووالدينا في جنات النعيم. ولله در أحمد بن مُرِّي الحنبلي حين كتب لتلامذة شيخ الإسلام بعد وفاته يوصيهم بجمع علومه ونشرها، وكان مما كتب: «ووالله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه، رجالاً هم الآن في أصلاب آبائهم». (رسالة شهاب الدين بن مري، ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص١٥٦). وقد كان ذلك بحمد الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله، فإن القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحًا، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدًا، فالأحوال يكون تأثيرها محبوبًا لله تارة، ومكروهًا لله أخرى، وخرق العادة بكشف أو تأثير يوافق إرادته ليس كله كرامة من الله، بل قد يكون فتنة وشقاءً، فالكرامة هي لزوم الاستقامة، وموافقة الله فيما يحبه ويرضى.

قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، فإن كانوا موافقين له فيما أوجبه عليهم فهم من المقتصدين، وإن كانوا موافقين فيما أوجبه وأحبه فهم من المقربين، مع أن كل واجب محبوب، وليس كل محبوب واجبًا، وأما ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة أو بغيرها، أو بالضراء، فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه، ولا هوانه عليه، بل قد يسعد بها أقوام إذا أطاعوه في ذلك، وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك(١).

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧].

ولهذا كان الناس في أمور خرق العادات على ثلاثة أقسام(٢):

---

(١) علاقة خرق العادة بالتوكل والأسباب جلية، ويظهر ذلك في عدم انفراد الأسباب بما يترتب عليها، بل قد يحول مانع بأمر الله، إما بموانع مقابلة أو بمحض القدرة والخلق للدلالة على تفرده سبحانه بالخلق والأمر.

(٢) بسط شيخ الإسلام الكلام في ذلك بأمثلة وافية في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، وسيأتي مزيد بيان لهذه الجزئية في كتاب الاستقامة إن شاء الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوم ترتفع درجاتهم بخرق العادة إذا استعملوها في طاعة الله.

وقوم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصية الله، كبلعام وغيره(١).

وقوم تكون لهم بمنزلة المباحات.

والقسم الأول هم المؤمنون حقًّا، المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم، الذي إنما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله، أو لحاجة يستعين بها على طاعة الله.

ولكثرة الغلط في هذا الأصل؛ نهى رسول الله ﷺ عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**(٢).

---

(١) بلعام بن باعوراء الذي حارب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وروي أنه كان مستجاب الدعوة، فلما عصى سُلبت منه، وأنه المعنيّ بقول الله عز وجل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].
وانظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٤٨)، وهذه الآية هي أشد آية على العلماء، فما ثمّ إلا الاستقامة أو التعرض للمقت، عياذًا برضا الله من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه سبحانه وبحمده.

(٢) مسلم (٢٦٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي حديث الرجلين اللذين اختصما قال ﷺ: **«إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإن غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»**(١). فأمر ﷺ المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله، وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥](٢)، وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] فإن الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته، إذ

---

(١) أحمد (٢٣٩٨٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٧٥٩).

(٢) قال العلّامة أحمد العمري في تاريخه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) في ذكر كلامه عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية: «وحكي من شجاعته في مواقف الحرب نوبة شقحب ونوبة كسروان ما لم يُسمع إلا عن صناديد الرجال وأبطال اللقاء وأحلاس الحرب. تارة يباشر القتال، وتارة يحرض عليه. ولما جاء السلطان إلى شقحب جعل يشجعه ويُثبته، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال: يا لَخالد بن الوليد! فقال له: لا تقل هذا، بل قل: يا الله، واستغث بالله ربك، ووحّده وحده تُنصر، وقل: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين. ثم ما زال يُقبل تارة على الخليفة، وتارة على السلطان ويهدئهما ويربط جأشهما حتى جاء نصر الله والفتح.

وحكي أنه قال للسلطان: اثبت فأنت منصور، فقال له بعض الأمراء: قل: إن شاء الله تعالى، فقال: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا. فكان كما قال». عن الجامع لسيرة شيخ الإسلام خلال سبعة قرون (٣٢٢، ٣٢٣) باختصار.

قلت: وهذه الدعوة والاستنصار بالله كان يقولها ويلهج بها أهل التوحيد في الزمن القريب في معاركهم ومغازيهم، فيقولون: يا مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، فينصرون، وهي مأثورة عن رسول الله ﷺ في حروبه ومغازيه.

وانظر: صفحة مطوية من تاريخ الجزيرة العربية. للمؤلف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النافع له هو طاعة الله، ولا شيء أنفع له من ذلك، وكل ما يُستعان به على الطاعة فهو طاعة، وإن كان من جنس المباح. قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لسعد: **«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في فيِّ امرأتك»**(١). فأخبر ﷺ أن الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس، وهو التفريط فيما يؤمر بفعله، فإن ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل، وإن كان لا يُنافي القدرة المتقدمة التي هي مناط الأمر والنهي(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) مبحث الاستطاعة من مباحث القضاء والقدر، وقد زلت فيها أقدام القدرية والجبرية فلم يهتدوا للحق فيها؛ إذ جعلوا الاستطاعة نوعًا واحدًا، وكل منهم متعلّق بطرف منه كما قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء.

والحق أن الاستطاعة نوعان، استطاعة متقدمة، واستطاعة مقارنة. قال شيخ الإسلام: «الصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضًا، وتقارنه أيضًا استطاعة أخرى لا تصلح لغيره.

فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوّزة له، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له.

قال الله تعالى في الأولى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجبًا على أحد قبل الإحرام به، بل قبل فراغه!

وقال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المقارنة؛ لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

=

فقط، إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة.

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والوسع: الموسوع، وهو الذي تَسَعْهُ وتطيقه، فلو أُريد به المقارن؛ لما كلّف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات!

وقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، والمراد به: الاستطاعة المتقدمة، وإلا كان المعنى: فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين، فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم، ولا يكون الصيام واجبًا على أحد لم يفعله!

وقال النبي ﷺ: **«إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم»** متفق عليه. ولو أُريد به المُقارنة فقط لكان المعنى: فائتوا منه ما فعلتم، فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه!

وكذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: **«صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»** رواه البخاري، ولو أريد به المقارنة لكان المعنى: فإن لم تفعل فتكون مخيرًا!

ونظائر هذا متعددة، فإن كل أمر عُلّق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة، وعدمه بعدمها؛ لم يرد به المقارنة، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها، وقد أسقطها عمن لم يفعلها، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

وأما الاستطاعة المُقارِنَةُ الموجبةُ: فمثل قول الله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة، إذ الأخرى لابد منها في التكليف.

فالأولى ـ وهي المتقدمة ـ هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي، والثواب والعقاب، =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

=

وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس.

والثانية ـ وهي المقارنة الموجبة ـ هي الكونية، التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات، والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]» الفتاوى (٨/ ٣٧٢، ٣٧٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «العبد فاعل على الحقيقة، وله مشيئة ثابتة، وإرادة جازمة، وقوة صالحة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

ففارقنا مجوس الأمة بإثبات أن الله خالق، وفارقنا الجبرية بإثبات أن العبد كاسب فاعل صانع عامل.

وأفعال العبد قسمان: اختيارية واضطرارية، وهي ما يعبر بها الآن على لسان الأطباء: حركات إرادية، وحركات لا إرادية.

ثم قال موصيًا بعدم التعمّق في دراسة القدر والتفكر فيه: ويكفي العاقل أن يعلم أن الله عز وجل عليم حكيم رحيم، بهرت الألباب حكمته، ووسعت كل شيء رحمته، وأحاط بكل شيء علمه، وأحصاه لوحه وقلمه، وأن لله تعالى في قدره سرًّا مصونًا وعلمًا مخزونًا استأثر به دون جميع خلقه، واستأثر به على جميع بريّته، وإنما رحل به أهل العلم وأرباب ولايته إلى جمل من ذلك، وقد لا يؤذن لهم في ذكر ما (لعلها: علموه) وربما كلم الناس في ذلك على قدر عقولهم. وقد سأل موسى وعيسى وعزير ربنا تبارك وتعالى عن شيء من سر القدر، وأنه لو شاء أن يُطاع لأُطيع، وأنه مع ذلك يُعصى فأخبرهم سبحانه وتعالى: أن هذا سِرُّه. وفي هذا المقام تاهت عقول كثير من الخلائق» الفتاوى (٨/ ٣٩٥ـ٣٩٩) باختصار.

=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن الاستطاعة التي توجب الفعل تكون مقارنة له، ولا تصلح إلا لمقدورها كما ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠] وفي قوله: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، وأما الاستطاعة التي يتعلق بها الأمر والنهي فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن(١)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى

=

وقال الطحاوي رحمه الله: «وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه، ولم يُطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمّق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين» الطحاوية بشرح ابن أبي العز الحنفي (٢٢٥)، وانظر كلامًا نفيسًا للشيخ سليمان آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد، باب ما جاء في منكري القدر (٦٨٥).

(١) قال ابن القيم رحمه الله: «على العبد أن يتحقق أن استطاعته بيد الله لا بيده، فهو مالكها دونه، فإنه إن لم يُعطه الاستطاعة فهو عاجز، فهو لا يتحرك إلا بالله، لا بنفسه، فكيف يأمن المكر وهو مُحرِّك لا مُحرِّك؟! يُحركّه مَن حركته بيده، فإن شاء ثبّطه وأقعده مع القاعدين، كما قال فيمن منعه هذا التوفيق: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

فهذا مكر الله بالعبد: أن يقطع عنه موادّ توفيقه، ويخلي بينه وبين نفسه، ولا يبعث دواعيه، ولا يحرّكه إلى مراضيه ومحابه، وليس هذا حقًّا على الله فيكون ظالمًا بمنعه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل هو مجرد فضله الذي يُحمد على بذله لمن بذله،

=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقول النبي ﷺ لعمران بن حصين: **«صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»**(١).

فهذا الموضع قد انقسم الناس فيه إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة، شاهدين لإلهية الرب سبحانه، الذي أُمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان؛ لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه والملجأ إليه ودعاءه هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور.

ولهذا قال بعض السلف: من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله،

=

وعلى منعه لمن منعه إياه. فله الحمد على هذا وهذا.

ومَن فهم هذا فهم بابًا عظيمًا من سرّ القدر، وانجلت له إشكالات كثيرة، فهو سبحانه لا يريد من نفسه فعلًا يفعله بعبده يقع منه ما يحبه ويرضاه، فيمنعه فعل نفسه به، وهو توفيقه، لا أنّه يُكرهُهُ ويقهره على فعل مساخطه، بل يكلُهُ إلى نفسه وحوله وقوته، ويتخلى عنه، فهذا هو المكر». (المدارج ٢/٤٠٠) اللّهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فنعجز، ولا إلى خلقك فنضيع، وكِلنا إليك يا وكيلنا في الدنيا والآخرة.

(١) البخاري (١١١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو: «أن رسول الله ﷺ صفته في التوراة: إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميّين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل، ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء(١)، فأفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا بأن يقولوا: لا إله إلا الله»(٢).

ولهذا رُوي أن حملة العرش إنما أطاقوا حمل العرش بقولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: **«أنها كنز من كنوز الجنة»**(٣) قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] إلى قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: «قالها إبراهيم الخليل حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم»(٤).

---

(١) الملة العوجاء هي الحنيفية، ملة أبينا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والحنيفية والعوجاء بمعنىً واحد، فهي الميل، أي عن الباطل إلى الحق وعن الضلال إلى الهدى، وهذا هو معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فالإثبات يسبقه النفي.

(٢) البخاري (٤٨٣٨).

(٣) متفق عليه.

(٤) البخاري (٤٥٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الثاني: يشهدون ربوبية الحق عز وجل، وافتقارهم إليه، ويستعينون به، لكن على أهوائهم وأذواقهم، غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته، وهذا حال كثير من المُتَفَقِّرة والمتصوّفة، ولهذا كثيرًا ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود، ولا يقصدون ما يُرضي الرب ويحبه.

وكثيرًا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته، فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهي، ويسمون هذا حقيقة، ويظنون أن هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التي تحوي مرضاة الرب ومحبته ونهيه ظاهرًا وباطنًا.

وهؤلاء كثيرًا ما يُسلبون أحوالهم، وقد يعودون إلى نوع من المعاصي والفسوق، بل كثير منهم يرتد عن الإسلام؛ لأن العاقبة للتقوى، ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين، فهم يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه، تارة في بدعة يظنّونها شرعة، وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر، والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الأنعام والأعراف ذكر ما ابتدعوه من الدين وجعلوه شرعة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، وقد ذمهم على أن حرموا ما لم يحرمه الله، وأن شرعوا ما لم يشرعه الله، وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ونظيرها في النحل ويسّ والزخرف، وهؤلاء يكون فيهم شبه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من هذا وهذا(١).

القسم الثالث: هم من أعرض عن عبادته واستعانته به، فهؤلاء شر الأقسام.

القسم الرابع: هو القسم المحمود، وهو حال الذين حققوا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، فاستعانوا به على طاعته، وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يعبدوا إلا إياه بطاعته وطاعة رسوله، وأنه ربهم الذي ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١]، وأنه ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨].

ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. وإنما التوكل ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع(٢).

---

(١) أي في الابتداع في الشريعة، والاحتجاج بالقدر على المعاصي.
والقاعدة الشرعية في الاحتجاج بالقدر: أنه يحتج بالقدر على المصائب وليس على الذنوب.

(٢) قال العثيمين رحمه الله في القول المفيد، باب ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] بتصرف يسير: «من جعل اعتماده أكثر على السبب فهذا قَدَحَ في كفاية الله.
=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكر الله تعالى هذه الكلمة «حسبي الله» في جلب المنفعة تارة، وفي دفع المضرة أخرى، فالأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩]، والثانية في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»(١).

«ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه، فلا ينكر ما خلقه الله من الأسباب، فينبغي أن يعرف في شأن الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لابد معه من أسباب أخر، ومع هذا فلها موانع.

الثاني: لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سببٌ إلا بعلم، فمن أثبت سببًا بلا علم أو بخلاف الشرع كان مبطلاً، كمن يظن أن النذر سبب في رفع البلاء.

=

ومن جعل اعتماده على الله تعالى مُلغيًا السبب فهذا قَدَح في حكمة الله، كمن يعتمد على الله في حصول الولد بدون زواج وتسرّي، فالله قد جعل لكل شيء سببًا، فهو حكيم يربط الأسباب بمسبباتها.

وأعظم المتوكلين هو النبي ﷺ وقد اتخذ الأسباب، ولما رأى عمر بعض أهل اليمن قد حجّوا بلا زاد وقالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتواكلون».

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لشيخ الإسلام، ضمن الفتاوى (١٠/ ١٦-٣٦) باختصار. وانظر (١٠/ ٢٥٧)، وكلمة حسب يختلف معناها بتحريكها؛ فإن قلت: بحَسَبِ كذا، فالمراد: باعتبار كذا. أما الحَسْب -بسكون السين- فهو الكفاية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ شيء منها سببًا للدنيا، إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادة مبنية على الإذن من الشارع، فلا يجوز أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه، وكذلك لا يعبد الله بالبدع وإن ظن أن في ذلك ثوابًا، فإن الشيطان قد يعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك، وقد يحصل له بالكفر والفسق والعصيان بعض أغراضه فلا يجوز له ذلك.

هذا وإن من أعظم الأسباب: الدعاء؛ فهو سبب جعله الله محققًا للمقصود وإن كان لا يستقل بالحكم ولا يوجبه، بل قد يتخلف عنه الحكم لتخلف سبب آخر أو وجود مانع، وليس في الوجود من يستقل بالتأثير إلا الله الذي هو خالق كل شيء، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] فتعلمون أن خالق الأزواج واحد»(١).

«والأنبياء هم سادة المتوكلين وقد بذلوا الأسباب(٢)، فليس في قول يوسف

---

(١) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٠، ١٤١) باختصار، وهو ضمن الفتاوى المصرية (٢٦٨، ٢٦٩).

(٢) وتأمل قصة الهجرة وكيف أخذ النبي ﷺ بكل الأسباب الممكنة المشروعة لتحقيق هدفه العظيم وهو الوصول لمأرز الإيمان دار الهجرة لبناء دولة الإسلام، فتأمل كيف أتى لإخبار الصدّيق بالإذن له بالهجرة في ساعة الظهيرة بعد أن هدأت السابلة وغفلت العيون، ثم مبيتهما في غار جبل ثور وهو في جهة الجنوب إيهامًا لقريش، ثم مبيت راعي غنم أبي بكر أسفل الجبل لسقيهما اللبن، ثم لإعفاء أثر ابن أبي بكر إذا جاءهما كل ليلة بأخبار قريش، ثم سلوك طريق غير معتاد إلى المدينة. إلى غير ذلك =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه السلام للفتى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، كما أن قول أبيه: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ [يوسف: ٦٧] لم يناقض توكله، بل قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وأيضًا فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصًا مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركًا لا في عبادته ولا في توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عبادة؟!

وقوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] مثل قوله لربه: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]، فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا ناقضًا للتوكل، ولا من سؤال الإمارة المنهي عنه، فكيف يكون قوله للفتى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مناقضًا للتوكل، وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به ليعلم حاله ليتبيّن الحق، ويوسف كان من أثبت الناس.

ولهذا بعد أن طلب ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ قال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ

=

من الإجراءات والاحتياطات الأمنية التي فعلها سيد المتوكلين على الإطلاق صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٠] فيوسف يذكر ربه في هذه الحال كما ذكره في تلك، ويقول: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾ فلم يكن في قوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ترك لواجب، ولا فعل لمحرم، حتى يعاقبه الله على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين ـ كما زعم بعض المفسرين ـ وقد كان القوم قد عزموا على حبسه إلى حين قبل هذا ظلمًا له، مع علمهم ببراءته من الذنب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥].

ولبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه ليتم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال(١)، ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ

(١) ولشيخ الإسلام عبارة مشهورة: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين. وقد جرى عليه من الأمور العظام ما لا يوصف من الحبس وغيره، وتأمل هذا الموقف حتى ترى بركة العلم على العاملين به.
فقد سجن سبع مرات بما مجموعها نحوًا من خمس سنين، أربع منها بمصر ـ التي سجن فيها يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ ثلاث بالقاهرة ومرة بالإسكندرية، وثلاث بدمشق حتى لقي ربه وجاد بروحه سجينًا في ذات الله تعالى يوم الاثنين ٢٠/١١/ ٧٢٨، رحمه الله تعالى.
ومن نماذج الابتلاء العظيم بالسجن أن خصومه أرادوا اغتياله في السجن وذلك عن طريق إرساله إلى سجن الإسكندرية ليغتال بدون ضجيج، فحاولوا إخافته أولاً عن طريق التلميح بذلك، فأجابهم جوابه العظيم: أنا إن قُتِلت كانت لي شهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة، ولو نفوني إلى قبرص لدعوت أهلها إلى الله وأجابوني، وإن =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] ولو لم يصبر ويتق، بل أطاعهم فيما طلبوا منه جزعًا من السجن؛ لم يحصل له هذا الصبر والتقوى، وفاته الأفضل باتفاق الناس»(١).

فاتخاذ الأسباب لا يقدح في التوكل، والله سبحانه وتعالى هو الوكيل الكافي، قال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣]، وإذا كان كفى به وكيلاً فهذا مختص به سبحانه، ليس غيره من الموجودات كفى به وكيلاً،

=

حبسوني كان لي معبدًا، وأنا مثل الغنمة كيفما تقلبت تقلبت على صوف.

قال إبراهيم الغياني واصفًا ذلك اليوم الذي دبّر الأعداء مكيدتهم لإرساله للإسكندرية ليغتال هناك: فلما كان بعد صلاة العصر وقفت أبكي. فقال لي الشيخ: لا تبك، ما بقيت هذه المحنة تبطئ.

فلما صلينا المغرب بقي يدعو بدعاء الكرب، وأنزل الله عليه من النور والبهاء والحال شيئًا عظيمًا، كأن وجهه شمع يجلوه مثل العروس، حتى إذا راق الليل جاء نائب الوالي فقال: بسم الله، فبقوا يودعونه ويبكون ويدعون على من ظلم شيخهم. ووقف على باب الحبس فقال له إنسان: يا سيدي هذا مقام الصبر. فقال: بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قسم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي هذا الموضع ذهبًا وأنفقته ما أديت عشر هذه النعمة التي أنا فيها... وكان آخر ذلك الأمر أن انتقم الله ممن ظلمه وأرسل السلطان بطلبه مكرمًا» (فصل في تكسير الأحجار) ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص١٧٠).

(١) الفتاوى (١٥/ ١١٣-١١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن من يتخذ وكيلاً من المخلوقين غايته أن يفعل بعض المأمور وهو لا يفعلها إلا بإعانة الله له، وهو عاجز عن أكثر المطالب.

فإذا كان سبحانه وصف نفسه بأنه كفى به وكيلاً، عُلِمَ أنه يفعل بالمتوكِّل عليه ما لا يحتاج معه إلى غيره(١) في جلب المنافع ودفع المضار.

والتوكل من أعظم الأسباب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩، ١٦٠]، فأمره إذا عزم أن يتوكل على الله، فلو كان التوكل لا يُعينه على مثل ما عزم عليه لم يكن به عند العزم فائدة. وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦ـ ٣٨]، فبيّن سبحانه أنه يكفي عبده الذي يعبده، الذي هو من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، الذين هم من عباده المخلصين، الذين هم من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا،

(١) وهذه نفيسة، وإن كانت معلومة بداهة إلا أن الغفلة والازدحام ينسيها أحيانًا في الواقع، فتلتفت شعبة من القلب إلى غير من كفى به وكيلاً! ومن هذا الباب: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذين هم من عباد الله الذين يشربون من عين يفجرونها تفجيرًا(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، وكذلك قال عن هود لما قال لقومه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤-٥٦](٢) فهذا من

---

(١) وهنا ربط الكفاية بتحقيق العبودية، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكفاية على قدر العبودية.

(٢) هاتان الآيتان الكريمتان قد وصفتا مشهدًا للشجاعة لا يكاد يضاهيه إلا مشهد إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، وموسى حين جابه فرعون، ومحمد ﷺ حينما صدع بالحق بعد أن طم الكفر الأرض. وتأمل ـ رعاك الله ـ اليقين والثقة والثبات والشجاعة من نوح وهود، وهذا ديدن كل المرسلين فهم أولو العزم حقًّا.

وقد جاء في الأثر: «إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله»، هذا مع تمام عبوديتهم لربهم سبحانه وبحمده.

واستطرادًا أقول: إن تعيين أولي العزم المُنوَّه بهم في سورة الأحقاف بالخمسة دون هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وقد ذكره الله بهذا الموقف الذي لم يذكره إلا لنوح عليه السلام ـ ولعل هذا هو السبب في تسمية السورة باسمه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ـ كذلك كثرة ترداد قصته بين بسط واختصار. بحجة أن الله تعالى جمعهم في آيتي الأحزاب والشورى دون غيرهم فيه نظر؛ وإن كان له وجه إلا أن الحصر مفتقر لدليل أقوى من هذه الحجة، وبالله التوفيق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلام المرسلين مما يبيّن أنه بتوكله على الله يدفع شرّهم عنه.

فنوح قد دعاهم إذا استعظموا ما يفعله كارهين له؛ أن يجتمعوا ثم يفعلوا به ما يريدونه من الإهلاك، وقال: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾، فلولا أن تحقيقه هذه الكلمة، وهو توكله على الله، يدفع ما تحدّاهم به ودعاهم إليه تعجيزًا لهم من مناجزته؛ لكان قد طلب منهم أن يُهلكوه، وهذا لا يجوز، وهذا طلب تعجيز لهم، فدل على أنه بتوكله على الله يُعجزهم عما تحداهم به.

وكذلك هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يشهد الله وإياهم أنه بريء مما يشركونه بالله، ثم يتحداهم ويعجزهم بقوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ﴾ [هود: ٥٥، ٥٦]، فبيّن أنه توكّل على من أخذ بنواصي الأنفس، وبسائر الدواب، فهو يدفعكم عني لأني متوكل عليه، ولو كان وجود التوكل كعدمه في هذا؛ لكان أغراهم بالإيقاع به، ولم يكن لذكر توكله فائدة.

والله تعالى مع رسله وأوليائه، فإذا كان بسبب الإيمان والتقوى يدفع الله عن المؤمنين المتقين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨] عُلِمَ أن العبد تقوم به أعمال باطنة وظاهرة يجلب بها المنفعة ويدفع بها المضرة، فالتوكل من أعظم ذلك، وعُلِمَ أن من ظنّ أن المقدور من المنافع والمضار ليس معلقًا بالأسباب بل يحصل بدونها فقد غلط. وكذلك قول من جعل ذلك مجرد أمارة وعلامة لاقتران هذا بهذا من القرآن في خلقه وأمره، كقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وأنكر تعالى على من ظن وجود الأسباب كعدمها في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] وأمثال ذلك»(١).

وقال ابن الجوزي فيمن ألغى الأسباب زاعمًا توكله: «وقد لبّس ـ أي إبليس ـ على أقوامٍ يدّعون التوكل؛ فخرجوا بلا زاد، وظنوا أن هذا هو التوكل، وهم على غاية الخطأ. قال رجل للإمام أحمد: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد، فقال له أحمد: فاخرج في غير القافلة(٢). قال: لا، إلا معهم، قال: فعلى جُرُبِ(٣) الناس توكّلت»(٤).

وتأمل حديث صاحب الناقة، ففيه جواب المسألة برمّتها، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أَدَعُها وأتوكَّلُ؟ فقال: **«اعقلها وتوكّل»**(٥)، فهذا الحديث أصل في الأمر باتخاذ الأسباب والاحتراز مع الأمر

---

(١) رسالة في تحقيق التوكل، ابن تيمية (٩٥ـ٩٨) باختصار.

(٢) مراده إيضاح خطئه بإيقافه على حقيقة تصوّره القاصر للتوكل، وليس لإلقائه في التهلكة.

(٣) جمع جراب، أي على أكياس أموال وأزواد الناس توكلت وليس على الله تعالى.

(٤) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (٢/ ٨٣٢).

(٥) الترمذي (٤/ ٦٦٨) (٥٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٤٩) وغيرهما، وقال الزين العراقي في تخريجه للإحياء: رواه ابن خزيمة والطبراني من حديث أمية الضمري بإسناد جيد. الإحياء (٤/ ٢٧٩) وحسَّنه الألباني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالتوكل(١).

وعن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«ما أكل أحدٌ طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»**(٢)، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث: أن التكسُّب لا يقدح في التوكل»(٣).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«لو أنكم توكلتم على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»**(٤)، قال أبو حاتم الرازي: «هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزق»(٥)، وقال الإمام أحمد: «ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق»(٦).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة**

---

(١) التوكل وعلاقته بالأسباب، د/عبد الله الدميجي (١٧٩).

(٢) البخاري (٤/ ٣٥٥).

(٣) الفتح (٤/ ٣٥٨).

(٤) أحمد (١/ ٣٠)، الحاكم (٤/ ٣١٨) ووافقه الذهبي.

(٥) جامع العلوم والحكم (٤٠٩).

(٦) شعب الإيمان (٢/ ٦٦، ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»(١)، والشاهد من الحديث قوله: **«وجعل رزقي تحت ظل رمحي»**، وأعظم المكاسب هي الغنائم لأنها ثمرة الجهاد في سبيل الله.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ يُنفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مَجْعَلَ مال الله. فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته(٢).

---

(١) أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢) وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٣)، وعلّقه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٥)، وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٩) وقال: فيه عبد الرحمن بن ثابت، وثقه ابن المديني وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن حجر: له شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة. الفتح (٦/ ١١٦).

قلت: وقد طعن في هذا الحديث بعض الانهزاميين في عصرنا بُغية إلغاء جهاد الطلب! ونقول: على فرض رد هذا الحديث لضعفه فأينكم عن محكمات القرآن ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وغيرها كثير، كذلك من السنة المطهرة كحديث **«اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله... »** رواه مسلم، كذلك **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»** متفق عليه. كذلك الإجماع المنعقد عليه، وللمزيد: انظر الرسالتين: (ويكون الدين كله لله) و(هل انتشر الإسلام بحد السيف؟) للمؤلف.

(٢) متفق عليه. البخاري (٦/٢٣٨) ومسلم (٣/١٣٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، أفتحُ مصحفي فأقرأه حتى أُمسي؟ فقال الحسن: اقرأه بالغداة، واقرأه بالعشي، وكن سائر نهارك في صنعك وما يُصلحكم(١).

وكان الإمام أحمد يأمر بالسوق ويقول: ما أحسن الاستغناء عن الناس(٢)، وسئل عن قوم لا يعملون، ويقولون: نحن متوكلون؟ فقال: هؤلاء مبتدعة(٣).

قال ابن الجوزي في بيان تكسّب الأنبياء وهم سادة المتوكلين: «كان آدم عليه السلام حرّاثًا، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطًا، وإبراهيم ولوط زارعين، وصالح تاجرًا، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدروع ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رُعاة، صلى الله عليهم أجمعين»(٤).

«والتوكل باعتبار تعلّقه بالأسباب ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: توكل اضطرار: بحيث لا يجد العبد ملجأً ولا ملاذًا إلا التوكل على الله، كما إذا تقطّعت به الأسباب، وضاقت عليه نفسه، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه؛ فهذا لا يتخلّف عنه الفرج والتيسير بحول الله.

---

(١) البيهقي في الشعب (٢/ ٩٤).

(٢) الحث على التجارة والرد على من يدعي التوكل (٢٧).

(٣) مسائل صالح (٧٢).

(٤) تلبيس إبليس (٢٨١)، وانظر كلام شيخ الإسلام عن أرجح المكاسب في الفتاوى (١٠/ ٦٦٢، ٦٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثاني: توكل اختيار: وهو التوكل مع وجود السبب المُفضي إلى المراد، وهو على ثلاثة أنواع:

١. أن يكون السبب مأمورًا به، فهنا يجب عليه الجمع بين اتخاذ السبب وتحقيق التوكل. قال ابن القيم: الواجب القيام بهما، والجمع بينهما.

٢. أن يكون السبب منهيًا عنه، فهنا تحرم مباشرة السبب، ويتعيّن تحقيق التوكل، فلم يبق سبب سواه؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب، ومباشرة الأسباب المحرمة أو المكروهة أو الموهومة قادح في تحقيق التوكل.

٣. أن يكون السبب مباحًا. وهنا يُنظر فإن كان مضعفًا للتوكل ومفرقًا القلب؛ فتركه أولى، وإن لم يضعفه فالمباشرة أولى؛ لأن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبب به، فلا تعطل حكمته مهما أمكن القيام بها، ولاسيما إذا فعلته عبودية، فتكون قد أتيت بعبودية القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنوي به القربة»(١).

قال ابن الجوزي: «ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب، وقلبه ساكن مفوض إلى الحق»(٢).

وقال الجنيد: «ليس التوكل الكسب ولا ترك الكسب، التوكل شيء في القلوب»(٣).

---

(١) الفوائد (٨٠).

(٢) تلبيس إبليس (٢٨٠).

(٣) المدارج (٢/ ١٣٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لذا؛ فالواجب على العبد أن يعرف في الأسباب الأمور التالية:

«أولاً: ألا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا، ولهذا فعليه أن يجتنب تعليق التمائم والخرز والتطير ونحو ذلك.

ثانيًا: ألا يعتمد عليها، بل على مسببها ومقدّرها عز وجل، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثًا: أن يُوقن أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف شاء، فإن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته، ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك حكمته حيث ربط الأسباب بمسبباتها، وإن شاء غيّرها كيف شاء، لئلا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده[1].

رابعًا: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيئًا سببًا إلا أن تكون مشروعة؛ فالعبادات مبناها على التوقيف.

وعلى العبد أن يتقي في الأسباب أمرين:

١ـ الاعتماد عليها، والتوكل عليها، والثقة بها، ورجاؤها وخوفها؛ فهذا شرك يرقّ ويغلظ، وبين ذلك.

٢. ترك ما أمر الله به من الأسباب، وهذا أيضًا قد يكون كفرًا وظلمًا وبين ذلك»[2].

---

(١) القول السديد (١٨).

(٢) التوكل وعلاقته بالأسباب، د/الدميجي (١٧٨ـ ١٩١) باختصار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوادح التوكل

لا شك أن أعظم مظاهر ضعف التوكل على الله تعالى ـ وهو الجامع لكل المظاهر الجزئية ـ هو التفات القلب إلى الأسباب وتعلّقه بغير الله تعالى الذي هو الوكيل حقًّا والخلّاق صدقًا والمسبِّبُ قطعًا. وتختلف درجات هذا الضعف باختلاف أنواع الأسباب، وباختلاف درجات تعلّق القلب بها والتفاته إليها(١).

والأسباب على ثلاث درجات:

الأولى: المقطوع بها: وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت بالمسبّبات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطًا مطّردًا لا يتخلّف إلا على سبيل خرق العادة إذا شاء الله لحكمة يريدها الحكيم سبحانه وتعالى، كشرب الماء لإذهاب العطش، وأكل الطعام لإذهاب الجوع، ولبس اللباس للتدفئة ونحو ذلك، فترك هذه الأسباب جنون محضٌ وليس من التوكل في شيء كما قرره الإمام الغزالي رحمه الله(٢).

الثانية: الأسباب التي ليست متيقنة، وإنما هي ظنية، كالرقى(٣) والاكتواء،

---

(١) تلخيصًا عن التوكل، الدميجي (١٩٥-٢٤٧) مع تصرّف وزيادات.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٦٥) وإن كان الغزالي رحمه الله لم يوفّق في بعض تقريراته في مباحث التوكل.

(٣) فقد يتخلّف أثر الرقية لضعف اليقين أو الاعتماد على غير الله أو ذنوب مانعة أو غير ذلك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذه لا شك أن الاعتماد عليها والتفات القلب إليها بذاتها مضعف للتوكل ومنقص لكماله، سواء كانت هذه الأسباب الثابتة شرعية دل عليها الوحي، أو تجريبية.

الثالثة: الأسباب الموهومة، وهي التي ليست من الأسباب الشرعية التي دلّت عليها النصوص، ولا من الأسباب القدرية التي ثبت برهانها بالتجربة والحسّ، وإنما هي من الوهم والتخرص، كالتطيّر وتعليق الحروز والتمائم وغيرها، فلا شك أن الالتفات إليها واستعمالها محرم، وهي منافية لتحقيق التوكل وكمال التوحيد.

وسنتناول الحديث عن النوع الثاني والثالث، وهي الأسباب الظنية والأسباب الموهومة، وقد جمعهما قول النبي ﷺ في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب عليهم ولا عذاب أنهم هم الذين **«لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكلون»**[(١)]، وجملة **«وعلى ربهم يتوكلون»** إما أنها مفسّرة لما تقدم من ترك الاسترقاء والاكتواء والطيرة، وإما أن تكون من العام بعد الخاص[(٢)].

وإلى شيء من استعراض هذه الأمور الثلاثة:

---

(١) متفق عليه. البخاري بلفظه (٦٥٤١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولاً: الاسترقاء:

وهو طلب الرقية، وهي تنقسم من حيث الحكم إلى قسمين:

١. جائزة: وهي ما جمعت ثلاثة شروط:

أ. أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ب. أن تكون باللسان العربي أو بما يُعرف معناه من غيره.

جـ. أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بالله تعالى، وقد حكى الحافظ ابن حجر إجماع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع هذه الشروط(١).

ومما يدل على جوازها أربعة أمور، أمره ﷺ بها وفعلها بنفسه وفعلها بغيره وإقراره لها.

أما أمره ﷺ بها فقوله لما رأى في بيت أم سلمة جارية في وجهها سَفْعة(٢): **«استرقي لها فإن بها النظرة»**(٣)، قيل: إنها نظرة الجن، أي: إن الجن قد أصابتها بعينها.

أما فعله ﷺ فقد ثبت عنه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه ﷺ كان إذا أوى

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٠٦).

(٢) السَّعْفَة: قروح تخرج على رأس الصبي، وقيل: إنه داء الثعلب، أو ما يسمى الآن بالثعلبة، وهو تساقط الشعر، وقيل: إنه لون في الوجه يخالف لون الوجه كما ذكره ابن قتيبة. قلت: وهو الأوجه لدلالة اللغة عليه، ولذكر وجه الجارية في الحديث.

(٣) متفق عليه. البخاري (٥٧٣٨)، مسلم (٢١٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى فراشه نفث في كفيه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وبالمعوذتين جميعًا، ثم مسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده(١). وعنها أنه ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده(٢).

وأما فعله ﷺ بغيره، فكما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ يعوِّذُ بعضهم، يمسح بيمينه: **«أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا»**(٣)، وعنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات(٤).

وأما إقراره ﷺ لها، فكما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرهط من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا في سفر فنزلوا بحي من أحياء العرب فلم يضيفوهم، فلدغ سيدهم، فأتوهم فاشترط أحدهم جُعلاً(٥) لرقيته، فرقى بسورة الفاتحة(٦)، فقام كأنما نشط من عقال، فأوفوهم جعلهم، فسألوا رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (٥٧٤٨).

(٢) متفق عليه. البخاري (٤٤٣٩)، مسلم (٢١٩٢).

(٣) متفق عليه. البخاري (٥٧٥٠)، مسلم (٢١٩١)، وفي رواية بزيادة: **«لا كاشف له إلا أنت»**.

(٤) مسلم (٢١٩٢).

(٥) الجعل والجعالة: هي العوض المقطوع والمكافأة لمن قام بعمل معين، وهي تختلف عن الأجرة في كونها معلّقة بتحقيق الهدف أو الطلب بغض النظر عن الجهد المبذول، وهي جائزة.

(٦) لذلك تسمى سورة الرقية، وهي مع آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين أمثل ما =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن ذلك فقال: «**وما يدريك أنها رقية؟! أصبتم، فاقسموا، واضربوا لي معكم بسهم**»(١)، ودخولهم معهم في القسمة برهانُ حلّ لها، وحسن مَعْشَرٍ منه لأصحابه ﷺ.

والرقى نافعة بإذن الله تعالى، والراقي محسن للمرقي، وهناك فرق بين الراقي والمسترقي، فالراقي سواء رقى نفسه أو غيره هو باذل للسبب المأذون به وتوكله تام لا قدح فيه، ولفظ الحديث في معظم الروايات إنما هو «**لا يسترقون**» من الاستفعال وهو طلب الفعل، وأما رواية سعيد بن منصور عند مسلم «**لا يرقون**» فقد حكم عليها جمع من المحققين بالشذوذ لذلك لم يخرجها البخاري في صحيحه، قال شيخ الإسلام على هذا اللفظ: «وهو غلط، فإن رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة، وكان النبي ﷺ يرقي نفسه وغيره، ولم يكن يسترقي، فإن رقيته نفسه وغيره من جنس الدعاء لنفسه ولغيره، وهذا مأمور به»(٢)، والراقي محسن لأخيه، وقد قال النبي ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»(٣).

والفرق بين الراقي والمسترقي أن الراقي محسن نافع، أما المسترقي فسائلٌ ملتفت إلى غير الله بقلبه(٤).

=

رقي به، خاصة مع اليقين والتكرار والنفث.

(١) متفق عليه. البخاري (٢٢٧٦)، مسلم (٢٢٠١).

(٢) الفتاوى (١/ ١٨٢)، وانظر (١/ ٣٢٨) (٢٧/ ٦٨).

(٣) مسلم (٢١٩٩).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٨٧)، وانظر: فتح الباري (١١/ ٤١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسبب عدم طلب هؤلاء السبعين ألفًا للرقية من غيرهم ما يلي:

١. قوة توكلهم وكمال اعتمادهم على الله.

٢. عزة نفوسهم عن التذلل لغير الله.

٣. ما في ذلك من التعلق بغير الله(١).

أما أحاديث الأمر بالاسترقاء من العين فمحمول على الرخصة لهم بذلك، أما الترك والثناء على أهله فمحمول على الكمال، جمعًا بين النصوص وإعمالاً لها كلها.

لذلك فعلى الإنسان أن يرقي نفسه ابتداء وأن يبعد نفسه قدر طاقته عن سؤال المخلوقين ومنه الاسترقاء، ولو أن الناس قوي يقينهم لما رأينا ازدحامهم على أبواب الرقاة وتعلقهم بهم، مع ما يصاحب ذلك التعلق من مخالفات أخرى لدى بعضهم والله المستعان.

والله سبحانه قد سمى القرآن شفاء فقال جل ذكره: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] وقوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ﴾ أي للبيان ـ أي بيان الجنس وهو القرآن كله ـ فالقرآن كله شفاء، وإن كانت بعض آياته أشفى من بعض، وتأمل كيف سماه الله تعالى شفاءً ولم يسمّه دواء، فالدواء قد يفيد وقد يضر وقد لا يفيد ولا يضر، أما الشفاء فمفيد

(١) القول المفيد، العثيمين (١/ ٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دومًا. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، فهو شفاء لأمراض الروح والجسد وهداية تامة، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يُؤَهّل ولا يوفق للاستشفاء بالقرآن، وإذا أحسن العليل التداوي به وعالج به مرضه بصدق وإيمان، وقبولٍ تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه؛ لم يقاومه الداء أبدًا.

وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيلُ الدلالة على علاجه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا لكتابه، والله عز وجل قد ذكر في القرآن أمراض القلوب والأبدان، وطب القلوب والأبدان.

فأما أمراض القلوب فهي نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغيّ، وهو سبحانه يذكر أمراض القلوب مفصّلة، ويذكر أسباب أمراضها وعلاجها(١).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] قال ابن القيم

(١) انظر: زاد المعاد (٤/ ٦)، (٤/ ٣٥٢)، والطب النبوي لابن القيم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله»(١).

وأما أمراض الأبدان فقد أرشد الله في كتابه إلى أصول طبّها ومجامعه وقواعده، وذلك أن قواعد طب الأبدان كلها في القرآن العظيم وهي ثلاثة: حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسدة المؤذية، والاستدلال بذلك على سائر أفراد هذه الأنواع. ولو أحسن العبد التداوي بالقرآن لرأى لذلك تأثيرًا عجبًا في الشفاء العاجل. قال ابن القيم: «لقد مرّ بي وقت في مكة سقمتُ فيه، ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنتُ أعالجُ نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، آخذ شربةً من ماء زمزم وأقرؤها عليها مرارًا ثم أشربه، فوجدت بذلك البُرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع به غاية الانتفاع، فكنتُ أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، فكان كثيرٌ منهم يبرأ سريعًا»(٢) ولا عجب، فما يدريك أنها رقية، كيف وقد اجتمعت مع ماء زمزم الذي هو طعام طعم وشفاء سقم؟!

وكذلك العلاج بالرّقى النبوية الثابتة، فذلك من أنفع الأدوية، والدعاء إذا سلم من الموانع كان من أنفع الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، فهو من أنفع الأدوية، وخاصة مع الإلحاح فيه و الاشتمال على آدابه الباطنة والظاهرة، فهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل(٣)، قال ﷺ:

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).

(٢) السابق (٤/ ١٧٨)، والجواب الكافي (٢١).

(٣) الجواب الكافي (٢٢-٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»[٢].

وهنا أمر ينبغي التفطن له؛ وهو أن الآيات والأذكار والدعوات والتعوذات هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول وقوّة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قويّ فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، فإن العلاج بالرقى يكون بأمرين: أمر من جهة المريض، وأمر من جهة المعالج. فالذي من جهة المريض يكون بقوّة نفسه، وصدق توجهه إلى الله تعالى، واعتقاده الجازم بأن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، والتعوّذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان؛ فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصار من عدوه إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويًّا، فمتى تخلّف أحدهما لم يُغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عُدم الأمران جميعًا بأن يكون القلب خرابًا من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه، ولا سلاح له؟!

الأمر الثاني: من جهة المعالج بالقرآن والسنة، وهو بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا[٣][٤].

---

(١) الترمذي والحاكم وأحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٣).

(٢) الحاكم والترمذي، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٤).

(٣) زاد المعاد (٤/ ٦٨)، الجواب الكافي (٢١).

(٤) العلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د/سعيد بن علي القحطاني (٧٣-٨٢) باختصار، وهي رسالة نفيسة على صغر حجمها. كذلك حصن المسلم للمؤلف نفسه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتدبّر قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأنبياء إذ قال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

وهذا الدعاء: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، هو من أعظم أدعية الكرب وطلب الشفاء والولد والغنى، وقد غفل عنه كثير من الخاصة بلْه العامّة، وهذا الدعاء الأيوبي العظيم قد تضمن بث الشكوى إلى رب العالمين، ومن بيده مقاليد الأمور وأزمة المقادير، وفيه توكل تام وتفويض مطلق وثناء عظيم على ربه سبحانه وبحمده، وليس هذا من الجزع في شيء، فهو دعاء نبي، وقد أثنى الله به عليه ومدحه به وذكر تفضله وامتنانه عليه باستجابته له وكشف كربته، وأخبر بمكافأته عليه وسرعة إجابته فيه نزول رحمته مباشرة، فقال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ ولم يقل: واستجبنا، فالفاء تدل هنا على قرب الفرج من وقت الدعاء والضراعة واللجأ، وتأمل ذكر العندية في قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ وفيها من قرب المرحوم من ربه ورحمته ما لا تحيطه العبارة وصفًا، ثم ختمها بقوله الأعز الأكرم: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ فصارت عملًا لمحققي العبادة ومجردي التوحيد ومخلصي التعلق، فهل بعد هذا رغبة عن هذه الدعوة؟!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: الاكتواء:

وهو طلب المرء من يكويه، والكي في أصله جائز، ومن الأدلة حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ بعث لأبي بن كعب طبيبًا، فقطع له عرقًا وكواه عليه(١)، وقال أيضًا: رُمي أبي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله ﷺ(٢)، وعنه أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة نار»**(٣)، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كوى من ذات الجنب ورسول الله ﷺ حي(٤)، وورد عنه ﷺ ما يدل على عدم محبته للكي؛ حيث قال في حديث جابر: **«وما أحب أن أكتوي»**(٥)، وورد عنه ما يدل على النهي عنه كما في قوله: **«وأنا أنهى أمتي عن الكي»**(٦)، وفي حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ نهى عن الكي(٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: أحدها:

---

(١) مسلم (٢٢٠٧) باب: لكل داء دواء.

(٢) مسلم (٢٢٠٧) (٤/ ١٧٣٠).

(٣) متفق عليه. البخاري (٥٧٠٢)، مسلم (٢٢٠٥).

(٤) البخاري (٥٧٢١).

(٥) البخاري (٥٧٢١).

(٦) ابن ماجه (٣٤٩١).

(٧) الترمذي (٤/ ٣٨٩)، وقال: حسن صحيح. وأبو داود (٣٨٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعله، والثاني: عدم محبته له، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه. ولا تعارض بينها بحمد الله؛ فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة، أو النوع الذي لا يحتاج إليه بل خوفًا من حدوث الداء، والله أعلم»(١).

وقد ذكر ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ أن الكي جنسان: كيّ الصحيح لئلا يعتل، كما يفعله كثير من أمم العجم، فإنهم يكوون وِلْدانهم وشبَّانهم من غير علّة، يرون أن ذلك الكي يحفظ لهم الصحة، ويدفع عنهم الأسقام، وهذا هو الذي أبطله الرسول ﷺ وقال فيه: **«لم يتوكل من اكتوى»**(٢)؛ لأنه ظنّ أن اكتواءه وإفزاعه الطبيعة بالنار وهو صحيح البدن، يدفع عنه قدر الله تعالى. وأما الجنس الآخر، فكي الجرح إذا نغل، وإذا سال دمه فلم ينقطع، وكي العضو إذا قطع، أو حسمه.. وهذا هو الكي الذي قال فيه النبي ﷺ: **«إن فيه الشفاء»**(٣).

وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجع، ويجوز ألا ينجع ـ أي

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٦٦).

(٢) أحمد (١٨٢١٧) بزيادة: **«واسترقى»** وفي نسخة: **«أو استرقى»**، قال محققو المسند: حديث حسن، من أجل عقار بن المغيرة روى عنه جمع ووثقه العجلي وابن حبان، وحسان بن أبي وجزة وإن كان مجهول الحال لكن تابعه مجاهد، وباقي رجاله رجال الشيخين. اهـ. مختصرًا.

(٣) تأويل مختلف الحديث (٣٢٩ـ٣٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسب العادة ـ فإنه إلى الكراهية أقرب[١]، وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ نهى عن الكي، قال: فابتلينا فاكتوينا، فما أفلحنا ولا أنجحنا[٢]، قال ابن سيرين: سقم بطن عمران ثلاثين سنة، كل يعرض عليه الكي فيأبى، حتى كان قبل موته بسنتين فاكتوى[٣]، وقال عمران: وقد كان يُسَلَّمُ عليَّ ـ يعني الملائكة ـ حتى اكتويت فتُرِكتُ، ثم تركت الكيّ فعاد[٤].

حكم التداوي، وهل ينافي التوكل؟

والجواب أن الأصل في التداوي الجواز، فقد كان من هديه ﷺ التداوي في نفسه، والأمر لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ومن أدلة ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: **«ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله»**[٥]، وقال ﷺ: **«لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله»**[٦]، لذلك فلا يخرج من هذا العموم أي مرض حتى الإيدز وشبهه، ولكن علاجه لا زال في طيّ علم علام الغيوب سبحانه، فإذا أذن لعباده أن يعلموه يسّر

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٦٥).

(٢) الترمذي (٢٠٤٩) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (٣٨٤٧).

(٣) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٨).

(٤) مسلم (١٢٢٦).

(٥) البخاري (٥٦٧٨) دون جملة **«علمه من علمه...»** فإنها عند أحمد (٤/ ٢٧٨)، والحاكم (٤/ ١٩٦).

(٦) مسلم (٢٢٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهم أسباب ذلك. وقال ابن القيم على الحديث الآنف: «فيه تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء، والتفتيش عليه»(١).

وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب(٢) فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: **«نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد»** قالوا: ما هو؟ قال: **«الهرم»**(٣). وعن أبي خزامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت رُقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتُقاة(٤) نتّقيها، هل تردّ من قدر الله شيئًا؟ قال: **«هي من قدر الله»**(٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى، فقال: هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله، فما خرج شيء عن قدره، بل يرد قدره بقدره، وهذا الرد من قدره، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما، وهذا كردّ

---

(١) الزاد (٤/ ١٧).

(٢) وقد كان الصحابة يفرحون بهم ليتعلّموا من أجوبة رسول الله ﷺ لهم، وفي هذا بيان جمال خلق الصحابة مع نبيهم ﷺ وهيبتهم له وتوقيره رضوان الله عليهم.

(٣) أحمد (٤/ ٢٧٨)، الترمذي (٢٠٣٨) وقال: حسن صحيح. وصححه ابن حبان في الموارد (١٣٩٥) والبوصيري في الزوائد (١٩٢٤).

(٤) التقاة: ما يتوقى به الضرر، كالدرع والترس ونحو ذلك، لذلك فالتقوى جنة من غضب الله وعذابه.

(٥) أحمد (٣/ ٤٢١)، الترمذي (٢٠٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، وكرد قدر العدو بالجهاد، وكلٌّ من قدر الله، الدافع والمدفوع والدفع»[١].

وقد اختلف العلماء في التداوي، هل مباح وتركه أفضل؟ أم مستحب؟ أم واجب؟ فالمشهور عند أحمد الأول، وعند الشافعي الثاني، وذكر النووي أنه مذهب جمهور السلف والخلف، وعند أبي حنيفة أنه مؤكد حتى يُداني به الوجوب، وعند مالك استواء الطرفين.

وقال شيخ الإسلام: ليس بواجب عند جماهير الأئمة، إنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد.

قلت: ولعل الأمر بجملته عائد إلى نفس المريض، ويختلف الأمر من شخص لآخر ومن حال لآخر حتى لنفس الإنسان. فإن وثق بيقينه وتوكله واكتفى برقيته على نفسه وتلذذ بالرضى بمُرِّ القضاء فالأفضل له ترك التداوي الحسي إلا من العسل والحبة السوداء ونحو ذلك مما جاء في الوحي الإرشاد إليه، أما إن خشي على نفسه من نوع تضجّر أو انشغال عما هو أولى كمصالح المسلمين العامة ونحو ذلك فالتداوي مستحب له، أما إن خشي على نفسه التلف والهلكة كنزيف يحتاج لرتق أو كي وجرت العادة بنفع ذلك الدواء، أو خشي على دينه من الجزع والتسخّط فالواجب في حقه التداوي، أما إن استوى الطرفان فهو على الإباحة. والله أعلم.

---

(١) الزاد (٤/ ١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا: التطير:

الطِّيَرَة هي اسم مصدر من تطيّر طيرة، وأصله من التطيّر بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها(١)، وصفته قديمًا: أن العرب كانوا إذا أرادوا أمرًا نفرُوا الطير، فإن طار يمنةً تفاءلوا به، وتيمّنوا ومضوا إلى حاجتهم كسفر أو زواج أو تجارة ونحو ذلك، أما إن طار ميسرة فإنهم يتشاءمون به، ويقعدون عن حاجاتهم، ومن بَعْدُ صار التطيّر اسمًا رديفًا للتشاؤم بكل مرئي أو مسموع أو معلوم، ويدخل فيه التشاؤم بالأسماء والألفاظ والأشخاص والأرقام والألوان والشهور والأيام والعاهات وغير ذلك، ولا زالت أشكال الطيرة والتشاؤم تتجدّد في كل زمان، فلا يحلّ مكروه إلا ربط بعض الجهلة بينه وبين شكله أو رسمه أو هيئته أو زمنه، والشيطان يُعنق بهم في طِوَلِ التعلّق بغير خالقهم ومولاهم ووكيلهم، والمحفوظ من حفظه الله.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٥٢)، ولسان العرب (٤/ ٥١٢). وقال أبو عبيد: الطائر عند العرب الحظ، وهو الذي تسميه العرب البَخْتَ. وقال الفراء: الطائر معناه عندهم العمل، وطائر الإنسان عمله الذي قُلِّدَه، وقيل: رزقه، والطائر: الحظ من الخير والشر. وفي حديث أم العلاء الأنصارية: اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون، أي حصل نصيبنا منهم عثمان. وطائر الإنسان: ما حصل له في علم الله مما قُدّر له، ومنه الحديث **«باليمون طائره»** أي المبارك حظّه، والطيرة مضادة للفأل، وكانت العرب مذهبها في الطيرة والفأل واحد، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها.
لسان العرب (٥/ ٦٨١، ٦٨٢) باختصار. وسيأتي الكلام على الفأل إن شاء الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن خلال استقراء نصوص الشريعة وأقوال أهل العلم في مسألة التطيّر نخرج بالنتائج التالية:

أولاً: التطير من أعمال الجاهلية، ولذلك لم يذكره الله تعالى إلا على أعدائه، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وطائرهم هنا: أي ما قُضي عليهم وقُدِّر لهم، أو شؤمهم إنما جاءهم من قِبلِهِ تعالى(١). وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٨، ١٩]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

ثانيًا: الطيرة من المحرمات الشركية:

ومما يدل على ذلك حديث ابن مسعود يرفعه **«الطيرة شرك، الطيرة شرك»** ثم قال ابن مسعود: «وما منّا إلّا، ولكن الله يذهبه بالتوكّل»(٢)، وقال ﷺ: **«من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»** قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: **«أن تقول: اللّهم**

---

(١) انظر: زاد المسير (٣/ ١٦٨).

(٢) أبو داود (٣٩١٢)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني. قال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجه: وقد ذكر كثير من الحفاظ أن جملة «وما منا إلّا...» من كلام ابن مسعود مدرج في الحديث. ولو كان مرفوعًا كان المراد: وما منا: أي من المؤمنين من هذه الأمة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[١]، وقال ﷺ: **«العيافةُ والطَّرْقُ والطيرةُ من الجبت»**[٢].

ثالثًا: لا ارتباط بين الأعيان المتطيَّرُ بها وبين جلب المنافع ودفع المضار.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال علماؤنا: وأما أقوال التطيّر، فلا تعلّق لها بما يجعل دلالة عليه، ولا لها علم بكائن فضلاً عن مستقبلٍ فتخبر به، ولا في الناس من يعلم منطق الطير، إلا ما كان الله خص به سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣] من ذلك، فالتحق التطيّر بجملة الباطل[٤]، ومما يدل على ذلك ما يلي:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»**[٥]، زاد مسلم: **«ولا نوء ولا غول»**، و(لا) هنا للنفي لا للنهي، والنفي هنا أبلغ؛ لأنه يدل على البطلان وعدم التأثير، ثم يدل على النهي بدلالة

---

(١) أحمد (٢/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٥).

(٢) عبد الرزاق في المصنف (١٩٥٠٢)، وأبو داود (٣٨٨٩)، وابن حبان في الموارد (١٤٢٦)، وحسنه النووي.

(٣) كذلك رسولنا ﷺ كما في حديث القبّرة وأفراخها وغير ذلك من علم منطق الحيوان كالجمال والغزلان والضباب، بل والجمادات كالأحجار والجبال، وأعجب من ذلك تأثيره فيها بإذن الله تعالى الذي جعل ذلك من دلائل نبوته وبراهين رسالته، وقد بسطت ذلك في كتاب محمد رسول الله ﷺ.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧/ ٢٦٦).

(٥) متفق عليه. البخاري (٥٧٥٧)، مسلم (٢٢٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللزوم.

وقال ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»** قالوا: وما الفأل؟ قال: **«الكلمة الطيبة»**(١)، وقال أحمد القرشي: ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: **«أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله»**(٢).

وعند معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، إن منّا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: **«فلا تأتهم»** قال: ومنّا أناس يتطيّرون؟! فقال: **«ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنّكم»**(٣).

رابعًا: تحريم الالتفات إلى ما يجده الإنسان في نفسه من التطيّر:

يدل على ذلك حديث معاوية بن الحكم المتقدّم: **«فلا يصدنّكم»** وحديث عروة بن عامر المتقدم، وفيه: **«ولا ترد مسلمًا»**، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن مضيت فمتوكل، وإن نكصت فمتطيّر(٤).

خامسًا: نهيُ النبي ﷺ عن تنفير الطير:

كما في حديث أم كرز الكعبية قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: **«أَقِرُّوا الطير**

---

(١) متفق عليه. البخاري (٥٧٥٥)، مسلم (٢٢٢٤) واللفظ للبخاري.

(٢) أبو داود (٣٩٠٠)، وفي سنده مقال، ورجح المنذري إرساله (عون المعبود ١٠/ ٤١٦).

(٣) مسلم (٥٣٧).

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٩٥٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على مِكَنَاتها»[١]، قال القرطبي: هكذا في الحديث، وأهل العربية يقولون: وكناتها[٢]. قلت: إن ثبت لفظ الحديث فهو حجة لغوية؛ فأفصح من نطق بالضاد وفتق لسانه بالعربية هو محمد صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله[٣].

سادسًا: الإخبار عنه ﷺ بأنه كان لا يتطيّر:

كما في حديث بريدة أن النبي ﷺ كان لا يتطيّر من شيء[٤].

سابعًا: مدح النبي ﷺ لمن ترك التطير:

كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وتقدم.

ثامنًا: شدة حذر السلف من التطير:

ومن ذلك ما ذكره عكرمة قال: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمرّ طائر يصيح،

---

(١) أحمد (٦/ ٣٨١)، والحاكم (٤/ ٢٣٧) ووافقه الذهبي، ورواه أبو داود (٢٨١٨)، عون المعبود (٨/ ٣٦) وقال: منقطع، وأشار إلى انقطاعه البغوي في شرح السنة، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٦) وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٥).

(٣) وللجاحظ رسالة لطيفة في بيان بعض مواطن فصاحته ﷺ.

(٤) أحمد (٥/ ٤٧، ٣٤٨)، أبو داود (٣٩٠١)، وحسن الحافظ إسناده كما في الفتح (١٠/ ٢٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: ما عند هذا خير ولا شر(١).

وعن زياد بن أبي مريم قال: كان سعد بن أبي وقاص غازيًا، فبينا هو يسير إذ أقبل في وجوههم ظباء يسعين، فلما اقتربن منهم ولّين مدبرات، فقال له الرجل: انزل أصلحك الله، فقال له سعد: مم تطيرت؟ أمن قرونها حين أقبلت، أم من أذنابها حين أدبرت؟! إن هذه الطيرة لباب من الشرك. قال: فلم ينزل سعد ومضى(٢)، وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاووس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني(٣). وقال ابن عبد الحكم: لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة، قال مزاحم: فنظرت، فإذا القمر في الدبران، فكرهت أن أقول له، فقلت: ألا تنظر إلى القمر؟ ما أحسن استواءه في هذه الليلة! قال: فنظر عمر فإذا هو في الدبران فقال: كأنك أردت أن تعلمني أن القمر في الدبران، يا مزاحم إنا لا نخرج بشمس ولا قمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار(٤).

تاسعًا: نفور ذوي العقول السليمة والطباع المستقيمة منه، وإن كانوا من أهل الجاهلية.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: كان بعض أهل الجاهلية ينكر التطير، ويمدح بتركه، ومن أشعارهم:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٦)، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٩٥٠٦).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٩٥١٣)، وانظر: مفتاح دار السعادة (٥٨٩).

(٤) مفتاح دار السعادة (٥٨٩)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (٤٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والزَّجرُ والطيرُ والكُهَّانُ كُلُّهُمُ مُضَلِّلُون ودونَ الغيبِ أقفالُ

وقال آخر:

وما عاجِلَات الطير تُدنِي من الفتى نجاحًا ولا عن رَيْثِهنَّ قُصُورُ

وقال أحد حكمائهم:

لعمرك ما تدري الطوارقُ بالحصى ولا زاجرات الطير ما اللهُ صانعُ[1]

عاشرًا: بيان كفارة ذلك الإثم لمن وجد في نفسه شيئًا من التطيّر:

يدل على هذا حديث ابن عمرو المتقدم قال ﷺ: **«من ردَّتْهُ الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك»**. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: **«أن تقول: اللّٰهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**[2]، فهذه كفارة الطيرة بعد وقوعها.

أما لدفع وقوعها ـ وذلك عندما يجد أثرها في نفسه قبل أن يعمل ـ فقد جاء في حديث عروة بن عامر عن النبي ﷺ قال: **«أحسنها الفأل، ولا تردّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللّٰهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»**[3]، والحديث ضعيف، ولكن وإن لم يصح بحروفه فمعناه صحيح، وهو من الأدعية التي يسأل المؤمن ربه بها حفظه

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) أحمد (٢/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٥).

(٣) أبو داود (٣٩٠٠)، وفي سنده مقال لتدليس حبيب بن أبي ثابت، وقد عنعن عن عروة بن عامر وقد اختلف في صحبته، ورجح الحافظ انقطاع رواية حبيب عن عروة. التهذيب (٧/ ١٨٥)، ورجح المنذري إرساله. عون المعبود (١٠/ ٤١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتسديده وكفايته.

حادي عشر: الآثار النفسية السلبية للمتطير:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن من كان معتنيًا بها، قابلاً بها، كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتّحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويُعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه. فالواجب على العبد التوكل على الله، ومتابعة رسول الله ﷺ، وأن يمضي لشأنه، لا يردّه من الطير شيء عن حاجته فيدخل في الشرك(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا أثر التطيّر في قلب المتطيّر: «أثَّرَ في قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر:

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازمًا على فعله، أو بالعكس، فيتطيّر بذلك وينكفئ عن الأمر الذي كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علّق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرّف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه قد أثر على إيمانه وأخلّ بتوحيده وتوكّله، ثم بعد هذا لا تسأل عما يحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين، وتعلّقه بالأسباب، وبأمور ليست أسبابًا، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، هذا من ضعف التوحيد والتوكل، ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

---

(١) التيسير (٤٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمر الثاني: ألا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزنًا وهمًّا وغمًّا، فهذا وإن كان دون الأول، لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه، وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيّره، وربما تدرّج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشرع للطيرة وذمّها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل، وينبغي لمن وجد شيئًا من ذلك، وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها، ويستعين بالله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه، ليندفع الشر عنه»[١].

هذا وتظهر منافاة التطير والتشاؤم للتوحيد والتوكل من خمسة أوجه:

١. كونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته.

٢. كونها من ادعاء علم الغيب.

٣. فيها تعلّقٌ بغير الله تعالى خوفًا وطمعًا، رهَبًا ورَغبًا.

٤. فيها اعتماد على الأسباب الوهمية التي لا حقيقة لها، وإنما يتخيلها الإنسان أسبابًا، وهي ليست بأسباب، لا شرعية ولا قدرية، وهذا ينافي التوكل.

٥. فيها اعتقاد النفع والضرر من غير الله تعالى، وهذا شرك في الربوبية.

(١) القول السديد (٣٢) ضمن المجموعة الكاملة، ج٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجمع بين نصوص ظاهرها التعارض في مسألة التشاؤم والتطير

مع كثرة الأحاديث الناهية عن التطير وإحكامها إلا أنه قد وردت بعض الأحاديث التي تثبت ظاهر التشاؤم، فكيف الجمع بينها، مع إيماننا أن مشكاة الوحي واحدة، وأن ما صح عن رسول الله ﷺ إنما هو وحي يوحى، وأنه معصوم في التبليغ، وأن الله سبحانه قد اقتضت حكمته البالغة أن يجعل هناك مسائل علمية دقيقة يختلف فيها المجتهدون من هذه الأمة المرحومة بعد استفراغ وسعهم وطاقتهم، وكلهم دائرون بين الأجر والأجرين.

وقاعدة الإحكام والتشابه مضطردة في غالب نصوص الشريعة، فتجد أن هناك نصوصًا محكمة متكاثرة صحيحة صريحة يكون عليها العمل، ثم تظهر نصوصٌ مخالفة لها وهي إما صريحة غير صحيحة، أو صحيحة غير صريحة، أو منسوخة أو مقيدة أو مخصصة أو غير ذلك مما تختلف في إدراكه قرائح حملة الشريعة فيردون موردًا واحدًا - إلا من خُذِلَ وشَذَّ - وهو مورد تعظيم النصوص وتقديمها على ما سواها، وتجريد الحكم والاتباع والطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ثم يصدرون مصادر شتى، وكلٌّ وتوفيق العليم الحكيم له، فمنهم من يقترب من الحق ويدنو من الصواب، ومنهم من يقع على عين الحقيقة ويصيبُ كبد الصواب، ومنهم من يُبعد، وكلٌّ على خير ما دام تعظيم أمر الله هو الرائد، واعتبر ذلك بأكثر مسائل الخلاف.

ومن تلك المسائل مسألتنا هذه، فمع إحكام النصوص المانعة من التطير

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتشاؤم إلا أنه قد وردت نصوص يوهم ظاهرها إثبات التشاؤم كحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة والدابة»**(١)، وذكر مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، دار سكنّاها والعدد كثر، والمال وافر، فقلّ العدد وذهب المال، فقال رسول الله ﷺ: **«دعوها ذميمة»** وفي رواية: **«اتركوها ذميمة»**(٢).

ولأهل العلم في الجمع أقوال شتى نجملها في أربعة أقوال كما يلي:

الأول: حملوا هذه الأحاديث على ظاهرها، وقالوا بإباحة التشاؤم في هذه الثلاث، وقالوا: إن هذه الثلاث مخصوصة من حرمة التطير العام، وممن ذهب هذا المذهب الإمام مالك وابن قتيبة والشوكاني.

الثاني: القول بأن هذه الثلاث منسوخة بأحاديث النهي عن التطيّر.

قال الحافظ ابن حجر: حكاه ابن عبد البر، يعني أنه نسخ بقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ

(١) البخاري (٢٨٥٨).

(٢) مالك في الموطأ (٢/ ٩٧٢) بسند معضل، ورواه أبو داود (٣٩٠٥) عن أنس، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٥٢٦) والبخاري في الأدب المفرد (٩١٨) بسند حسن. قال ابن عبد البر: هذا حديث محفوظ عن أنس وغيره. وصححه جاسم الفهيد في النهج السديد (ص١٥٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، ولكن يعكّر على ذلك الجهل بتاريخ إثبات التشاؤم، لاسيما وقد ورد في نفس الخبر نفي التطير، ثم إثباته في الأشياء المذكورة(١).

الثالث: طائفة تأولت حديث الشؤم بتأويلات كثيرة:

منها: أن الحديث إنما ذكر لبيان واقع حال الناس لا إقرارًا لهم(٢)، وهذا غير مسلّم لأن سياق الأحاديث يأباه، كذلك فرسول الهدى ﷺ قد بعث ليعلم الناس ما يلزمهم اعتقاده لا أن يخبرهم عن معتقداتهم الماجنة والحاصلة(٣).

ومنهم من تأوله بأن معنى شؤم المرأة: إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليها، وشؤم الدار جار السوء(٤).

ومنها أن ذلك محمول على قلّة الموافقة وسوء الطباع، ويستدلون بحديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة؛ من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»**(٥).

---

(١) فتح الباري (٦/ ٧٤)، وانظر: التمهيد (٩/ ٢٩٠).

(٢) وقد وجّهت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لفظ الحديث ومعناه إلى ذلك، وسيأتي بمشيئة الله تعالى.

(٣) فتح الباري (٦/ ٧٤).

(٤) مفتاح دار السعادة (٦١٢).

(٥) أحمد (١/ ١٦٨)، وبنحوه الحاكم (٢/ ١٦٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت: وهذا وجيه فالأحاديث يفسر بعضها بعضًا، وليس في هذا إثبات التشاؤم إنما هو مجرد النفرة وعدم الملاءمة، مع الضيق في الصدر بملابسة المكروه ليس إلا، فعبر عن التشاؤم هناك بما فسره بالشقاء الدنيوي هنا.

وفي بعض الروايات إضافة السيف(١) وفي بعضها الخادم(٢).

ومن توجيهاتهم لحديث التشاؤم أن على المرء مفارقة هذه الأشياء عند وجود كراهتها في قلبه، وذلك صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل، وسدًّا للذريعة، حيث يُخشى من شدة كراهيته لها أن يعتقد فيها التطير والتشاؤم فيقع في المحذور، فجاز له مفارقتها.

قلت: وهذا التعليل وجيه لولا أن فيه مبادرة إلى ما هرب منه ولو ظاهرًا، ولكن إن غلب على ظنه حدوث المحذور الديني فيستقيم هذا التوجيه درءًا للمفسدة الكبرى بالصغرى، أما حديث أرض أبين الوبئة **«دعها فإنها من القرف التلف»** فسنده ضعيف(٣).

وبعضهم تأول الشؤم فيها بالعذاب القلبي والأذى النفسي فجعلوا الاستثناء من غير الجنس، بمعنى أن من كانت عنده واحدة من هذه الثلاث يكرهها فليفارقها. قلت: وهذا ملحق بما قيل من قلة الموافقة وسوء الطباع.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٩٥٢٧) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) مسلم (٢٢٢٧) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٣) أبو داود (٣٩٠٤). قال المنذري: في إسناده رجل مجهول.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل: إن المراد إخباره ﷺ عن الأشياء المثيرة للطيرة الكامنة في الغرائز - وهي هذه الثلاثة - فأخبرنا بها لنجتنبها ونحذرها.

وقيل: المخاطب بقوله: **«الشؤم في ثلاثة»** مَن التزم التطيّر ولم يستطع صرفه عن نفسه فقال لهم: إنما يقع ذلك في هذه الأشياء التي تلازم في غالب الأحوال، فإذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا أنفسكم بها. قلت: وهذا غير ظاهر. وقيل: الشؤم في هذه الثلاث إنما يلحق من تطير بها، أما من توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه.

الرابع: من أنكر هذا الحديث وطعن في ثبوته.

كما روى قتادة عن أبي حسان أن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«الطيرة في الفرس والمرأة والدار»** فغضبت غضبًا شديدًا وقالت: ما قاله، وإنما قال: **«إن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك»** وفي رواية: فأنكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك وقالت: كذب[1] والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ما حدّث بهذا، ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: **«كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في المرأة والدار والدابة»** ثم قرأت:

---

(١) والكذب في لغة قريش لا يلزم منه تعمد القول المخالف للصواب، بل يتوسعون في إطلاقه على من أخطأ مطلقًا، خلافًا للغة تميم، فأم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تقصد اتهام أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتعمد الكذب، بل أطلقت ذلك وقصدت أنه مخالف للصواب، وقد جاء عنها وعن غيرها في أحاديث ومسائل أخر هذا الإطلاق على أبي هريرة وابن عمر وغيرهما.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢](١).

قال الحافظ: ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقته من ذكرنا من الصحابة له في ذلك.

وعند أحمد بسند ليّن أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئل: سمعت من رسول الله ﷺ: الطيرة في ثلاث؛ في المسكن والفرس والمرأة؟ قال: كنت إذن أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أصدق الطيرة الفأل، والعين حق»**(٢)، وورد كذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان ينكر هذا الحديث(٣).

هذا ومن أهل العلم من سلك مسلك حمل رواية أبي هريرة المثبتة للشؤم على روايات غيره من الصحابة التي تعلّقه دون إثبات، والغرض من هذا التعليق هو

---

(١) أحمد (٦/ ٢٤٦)، الحاكم (٢/ ٤٧٩) ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي عن إسناد أحمد: رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٩٣)، وروى مكحول عن عائشة أنها قالت عن حديث أبي هريرة: لم يحفظ، إنه دخل وهو يقول: **«قاتل الله اليهود يقولون: الشؤم في ثلاثة...»** فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله، والإسناد منقطع؛ فمكحول لم يسمع من عائشة، وعلى فرض صحته فالجملتان متتابعتان، ويبعد أن يسمع الثانية دون ما قبلها.

(٢) أحمد (٢/ ٢٨٩) بإسناد فيه أبو معشر، وفيه ضعف، وانظر: الصحيحة (٢/ ٧٢٦).

(٣) انظر: تهذيب الآثار لابن جرير الطبري (ح٧٢) (١/ ٢٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النفي دون الإثبات، وهذا مسلك وجيه جدًّا، وأشهر الروايات المعلّقة للشؤم لغرض النفي هي رواية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري بلفظ: **«إن كان الشؤم في شيء؛ ففي الدار والمرأة والفرس»**(١)، وكذلك حديث سهل بن سعد بلفظ: **«إن كان في شيء...»** (٢). فالغرض نفي الشؤم بالكلية لتعليقه على ما هو منفيّ شرعًا، كما في حديث: **«لا طيرة»** والمعلق على المنفي منفي.

قال ابن عبد البر: فلم يقطع في هذا الحديث بالشؤم.. قال: وهذا أشبه في الأصول؛ لأن الآثار ثابتة عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا طيرة ولا شؤم ولا عدوى»**(٣).

قلت: ولكن يعكّر على ذلك رواية ابن عمر الأخرى في البخاري، بالجزم دون التعليق **«الشؤم في المرأة والدابة والفرس»**(٤)، وقد روي هذا الإسناد بأقوى الأسانيد فهو عن مالك عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عمر، ولكن إذا تعارضا ولم يمكن الجمع فيتساقطان ويبقى المرجح من خارجهما.

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والراجح عندي رواية محمد ـ يعني العسقلاني عن ابن عمر ـ هذه أي الرواية المعلَّقَةُ لا الجازمة ـ لأن لها شواهد صحيحة. ثم ذكر الشواهد ومنها عن سهل بن سعد وعن سعد بن أبي وقاص وأنس وأبي سعيد

---

(١) البخاري (٥٠٩٤).

(٢) الفتح (٦/ ٧١).

(٣) التمهيد (٩/ ٢٧٩).

(٤) البخاري (٥٠٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجابر وحكيم بن معاوية، ثم قال: وجملة القول أن الحديث اختلف الرواة في لفظه، فمنهم من رواه كما في الترجمة، ومنهم من زاد عليه في أوله ما يدل على أنه لا طيرة أو شؤم(١)، وعليه الأكثرون، فروايتهم هي الراجحة؛ لأن معهم زيادة علم فيجب قبولها. وقد تأيد بحديث عائشة»(٢).

قلت: قد أفضى بنا البحث إلى حديثين بمعنيين مختلفين ظاهرًا، فإن أمكن الجمع وإلا فالترجيح والحكم بشذوذ المرجوح وبحفظ الراجح. ففي الطرف المثبت للشؤم في الثلاث حديث أبي هريرة وابن عمر، وفي الطرف الثاني أو المعلِّق على ما يقتضي النفي جملة من الأحاديث المختلفة المخارج والرواة، مع ما يعضدها من الأحاديث الصريحة في نفي التطير المقتضي للنهي عنه كذلك، فالقول بأن حديث الإثبات يقيد الإطلاق غير مستقيم؛ إذ هذه الثلاثة هي أكثر ما يلابسها المرء في معاشه فلا معنى لنفي التطير في غيرها مع إثباتها.

وعليه فإن أمكن إعمال الأحاديث كلها فحسن، وذلك بأن يقال: إن الأحاديث المثبتة لم تثبت الشؤم المنهي عنه إنما تحكي بعض المظاهر التي تشابه ظاهره مع اختلاف الحقائق، وذلك كعدم الملاءمة والموافقة بين الإنسان وبين ما يلابسه في أمور معاشه مما اقتضت حكمة الله تعالى ألا يوفّق فيها، بل لا يزداد مع ملابستها إلا مشقة وعناءً، لاقتضاء حكمة رب العالمين لتلك المشقة وعدم التوفيق، فعليه إذن أن يفارقها طلبًا لراحته ولحصول مقصوده لا لأمرٍ كامنٍ فيها،

(١) وهما بمعنى قريب والطيرة أعم.

(٢) السلسلة الصحيحة (٩٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا في كل أمور معاشه كالتجارة[١] والزراعة والرعي، وبعض أبواب العلم، وغير ذلك، ولكن لما كانت هذه الثلاث هي أكثر ما تُلابس الإنسان، وتتردّد الشكايات منها صارت مثالاً لغيرها يعتبر بها غيرها.

فمسلك الجمع هذا هو الأظهر عندي، فمهما أمكن الجمع لم يُرغب عنه إلى الترجيح، وإعمال النصوص كلها خير من إبطال بعضها. أما إن لم يمكن الجمع بأي حال فما ثَمَّ إلا الترجيح، وحيث إن كِفَّةَ إثبات الشؤم في الثلاث لا تقوم لما يقابلها من نفيه على العموم، وتعليقه على ما نفي شرعًا، وكثرة مخارج الأحاديث وجودتها وتعددها، والاحتياط العام لجناب التوحيد والتوكل فإنه يحكم بشذوذ ذلك اللفظ المثبت وضعفه وعدم التعويل عليه، وهو ما مال إليه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إخباره ﷺ أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق أعيانًا مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر.. وشِبْهُ ذلك

(١) وكان بعض السلف ومنهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصون من لم يوفّق في باب من أبواب التجارة ثلاث مرات أن ينصرف عنه إلى باب آخر. وفي هذا تلمّس التوفيق وأن الله إذا أراد أمرًا هيأ له أسبابه.

(٢) لفظه: «فهذا اللفظ ـ أي رواية ابن عمر: الشؤم في ثلاث. شاذ مرجوح»، الصحيحة (٩٩٣) (٢/ ٧٢٧)، والشاذ من أقسام الحديث الضعيف، سببه مخالفة الثقة لمن هو أوثق، ويقابله المحفوظ، أما مخالفة الضعيف للثقة فهو المنكر، ويقابله المعروف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأن الله قد يعطي الوالدين ولدًا بارًّا رحيمًا بهما، وقد يعطيهما ولدًا شريرًا والله خالق الخير والشر، والفرق بين هذين النوعين يُدركُ بالحس، فكذلك في الديار والنساء، والخيل، فهذا لون، والطيرة الشركية لون»(١).

ويدل على ذلك أنه يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه.

وتأمل حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن جميلة بنت سلولٍ أتت النبي ﷺ فقالت: «والله ما أعتِبُ على ثابت بن قيس بن شمَّاس في دين ولا خُلُق، ولكني أكره الكفر بعد الإسلام، ولا أطيقه بُغضًا»(٢). فهذا وإن كان من طرف المرأة للرجل فهو عكس صحيح فالنساء شقائق الرجال وهن مكلفات بما كلفوا به في الجملة، ودلالته أن جميلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كرهت العشرة خوفًا من ألا تقوم بحق الزوج فتهلك فكأنها رأت الشؤم من هذه الجهة. ولعل من ذلك ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»**(٣).

وقال شيخنا عبد الله الدميجي في خاتمة بحثه لهذه المسألة: والذي يبدو ـ والله تعالى أعلم ـ أنه ليس في هذه الأحاديث إثباتٌ للشؤم المنهي عنه، وإنما بعض الأعيان ـ وخاصة هذه الثلاث المذكورة ـ قد يجعلها الله تعالى سببًا في وقوع

(١) مفتاح دار السعادة (٦١٤).

(٢) نقله ابن كثير في تفسيره (١/٤٠٣) وقال عنه: إسناده جيد مستقيم.

(٣) البخاري (٣٤٩٥، ٣٤٩٦) باختلاف يسير، ومسلم (٢٦٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البلاء والضرر على الإنسان، وليس الشؤم في ذواتها، وإنما ما قد يجده العبد في نفسه تجاهها، لذا أجاز له الشارع مفارقتها حين يجد مضرّة عند الاستمرار في مصاحبتها، وأن الشؤم والتطير المنهي عنه فهو محاولة الاستدلال ببعض الأحوال والأعيان والأصوات على أمر غيبي لم يقع بعد، أما عند وقوع الضرر وتحققه فالإنسان مأمور بترك ما يضرّه والبحث عما ينفعه، وليس للقلب في مثل هذه الحالة تعلّق بغير الله تعالى أو اعتماد عليه، الذي هو أصل التشاؤم المنهي عنه. والله أعلم»(١).

هذا واعلم أن الفأل في حقيقته ليس من التطير في شيء، فالفأل ليس تلمّس علم غيب، إنما هو حسن ظن بالله تعالى، أما الطيرة فهي قد تجمع إلى سوء الظن وتوقع السوء تلمّس الغيب والرجم به.

وضابط المسألة أن الفأل حُسْنُ ظنّ مجرّد مع توقع للخير المقبل، مع إقبال النفس ونشاطها في العمل المقصود، أما إن رافق ذلك ترتيب التوقع على أمر مستأنف كمن يزجر الطير ويستقسم بالأزلام والعيافة والطرق ونحو ذلك فهو من الطيرة الشركية حتى ولو أفضت به إلى ما يحب، كمن زجر الطير فطارت يمينًا فهو في حقيقته متطير وليس متفائلاً.

أما إن زجرها فطارت شمالاً فعمل على ما اقتضاه ذلك التطير فترك العمل فهو متطير متشائم، وقلنا: إنه متطير، لزجره الطير بقصد تلمس ما وراء سجف الغيب، ومتشائم؛ لأنه أساء الظن بالخالق سبحانه، فهذا هو الفرق بين الطيرة

(١) التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، د/الدميجي (٢٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتشاؤم، ولم يصب من جعلهما بمعنىً واحد، بل بينهما من الفرق كما هو ظاهر لك، فالتطير أعم من التشاؤم وهو من أبواب الشرك لتعلّق صاحبه بأسباب موهومة، سواءً تفاءل بها واستبشر أم تشاءم وحزن، ومن قال إنهما بمعنى واحد لَحَظَ اجتماعهما في تلمّس الغيب بناء على ما ظهر من الحوادث الأرضية كنعيق الغراب ورؤية ذي العاهة، وسماع الاسم المكروه، أو حتى بقصد كمن يزجر الطير أو يضرب الودع أو الأزلام، وهذا ما دعى بعض أهل العلم للقول بأن الفأل مستثنى من الطيرة، ويستدلون بظواهر أحاديث إنما هي في حقيقتها ـ إن صحت ـ تذكر ذلك المعنى الكلّي الذي يرتب بعض المشاعر النفسية، دون ابتداء الأعمال عليها كحديث: **«لا طيرة وخيرها الفأل»** وحديث: **«الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم»**[(١)] وحديث: **«أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا»**[(٢)]، وحديث: **«أصدق الطيرة الفأل»**[(٣)]، فالفأل هو الكلمة الطيبة أو المشهد المفرح الذي يزيد في المؤمن إحسان الظن بربه تعالى، وينشطه للإقدام على العمل المراد، لا أنه مبتدأ ومستأنف بسببها.

لذلك فقد صح عنه ﷺ في الحديث المتفق على صحته أنه فرّق بين الطيرة والفأل فقال: **«لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»**، قالوا: وما الفأل؟ قال:

---

(١) البزار (٨٠٥٢).

(٢) أبو داود (٣٩٠٠) بسند ضعيف، ورجح المنذري إرساله. عون المعبود (١٠/ ٤١٦) وسبق.

(٣) أحمد (٢/ ٢٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«**الكلمة الطيبة**»[١]، فانظر كيف استطرد لذكر الفأل بعد نفيه[٢]، بذكر إعجابه بالفأل لاجتماعهما في الأمر الكلي. ولو من بعيد. المتوقَّع لأمر غيب مقبل، وإن كان في الطيرة أشد أثرًا لأنه سيعتمد على ذلك الأمر الموهوم في التطير والمظنون في التفاؤل، وارتفعنا بالتفاؤل إلى درجة الظن عن التوهّم والتخرص بدليل الشارع الذي جعله بشارة، فهي ظنيّة في حقيقتها. لأنها قد تكون موهومة وغير مقصودة. ويقينية من جهة إحسان الظن بالله الذي لا يأتي الخير إلا من قِبَلِه، فهو محمود مأجور من هذه الحيثية، وقد يكافأ من لدن من بيده مقاليد الأمور وأزمّة الشؤون بدركه لرغيبته ومبتغاه.

وهذا المعنى ـ في إخراج الفأل[٣] من حقيقة التطير ـ قد فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن[٤] ويكره الطيرة[٥].

---

(١) البخاري (٥٧٥٥)، مسلم (٢٢٢٤) واللفظ له.

(٢) والنفي يقتضي الإبطال، ويتضمن النهي، فهو أبلغ وأشد من مجرد النهي.

(٣) بعضهم يقيده بالحسن، فيقول: الفأل الحسن. وهذا غير ظاهر، فالفأل كله حسن، أما ضده فهو الشؤم، وإن كان يصحّ لغةً وله شواهد لكنه استعمال نادر فأصبح كالمطلق العرفي فلا يحتاج إلى هذا القيد. وفي اللسان: والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء. قال أبو منصور: من العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضًا (اللسان ٧/ ٧، ٨).

(٤) وهذا وصف كاشف وقيد لا مفهوم له، إنما أراد به التوضيح حتى لا يختلط بضده، كذلك فيصح على مذهب من عمّم الفأل على الحسن والسيئ.

(٥) أحمد (٦/ ١٣٠)، ابن ماجه (٣٥٣٦). قال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن»(١). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال: **«أخذنا فَأْلَكَ من فيكَ»**(٢).

وحتى مع القول بأن الفأل في الأصل يطلب على الخير والشر كما نحا إليه الأئمة النووي وابن القيم وابن حجر وغيرهم، فلا مشاحّة في الاصطلاح والأمر قريب؛ لأن الجميع متفق على أن المباح منه هو ما كان حسنًا، ولم يترتب عليه استئناف عمل ، فالمُنتهى واحد بحمد الله.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الفرق بين الطيرة والفأل أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء، فلذلك كُرهت»(٣).

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والفرق بينهما أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة والنشاط والسرور وتقوية النفوس.

=

ثقات، وحسَّن الحافظ إسناده مع الفتح (١٠/ ٢٢٥).

(١) أحمد (١/ ٢٥٧) وفيه ليث بن أبي سليم؛ صدوق اختلط جدًّا، ولم يتميز حديثه فترك. (التقريب ٤٦٤).

(٢) أبو داود (٣٩١٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٢٦).

(٣) البخاري (الفتح ١٣/ ٧٥١٧)، ولفظ الكراهة عند المتقدمين أكثر ما يطلق على التحريم خلافًا لاصطلاح المتأخرين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصفة ذلك: أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحال ما يسرّه، أو يسمع كلامًا يسرُّه مثل: يا راشد أو سالم أو غانم فيتفاءل، ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه[١] فهذا كله خير، وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء»[٢].

وقال الدكتور عبد الله الدميجي حفظه الله: «ضابط الفرق بين الفأل والطيرة كالتالي:

١. من شروط الفأل ألا يقصده المتفائل، فيكون من الطيرة المنهي عنها.

٢. ألا يحمله على العمل بموجبه، فإن عمل به فإنه يُعتبر من الطيرة الشركية، فالطيرة ما أمضاك أو ردّك[٣]، وذلك لأن القلب في مثل هذه الحالة له اعتماد على غير الله. وهو الفأل. وهذا شرك»[٤].

---

(١) لاحظ قيد العزم، فهو لم يستأنف العمل بعد التفاؤل بل ازدادت همته وقويت نفسه، أما إن استأنف وابتدأ بسببها دون عزم سابق فهو من التطيّر الشركي.

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣١) ضمن المجموعة الكاملة (ج٣).

(٣) والحديث في ذلك ضعيف ومعناه صحيح **«إنما الطيرة ما أمضاك أو ردّك»**.

(٤) التوكل، الدميجي (٢٤٦، ٢٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مواطن التوكل

إن التوكل على الله تعالى مطلوب في كل شؤون الحياة، بيد أن هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحضّ على التوكل والأمر به للمصطفى ﷺ والمؤمنين، وقد ذكر الفيروز آبادي من ذلك:

١. إن طلبتم النصر والفرج فتوكّلوا عليه ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٢. إذا أعرضتَ عن أعدائك فليكن رفيقك التوكل ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١].

٣. إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على الوكيل الحقّ سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

٤. إذا تُلي عليك القرآن أو تلوتُهُ فاستند على توكلك على الله عز وجل ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢][(١)].

---

(١) وقد تكون دلالة هذه الآية على ربط سماع القرآن بالتوكل عن طريق الإيماء، أما الظاهر فإن التوكل ذكر قسيمًا لسماع القرآن مع الوجل عند الذكر وجعلت هذه الثلاثة شرطًا لصحة عقد الإيمان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥. إذا طُلبت للصُّلح فعليك بالتوكل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

٦. إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتوكل ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

٧. إذا نصبتِ الأعداءُ حِبَالاتِ المكر فادخل أنت في أرض التوكل ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يونس: ٧١].

٨. إذا أردت تحقيق العبادة فلُذ بالتوكل على ربك تبارك وتعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣].

٩. إذا رأيت أو سمعت من يكفر بالرحمن فوحّده متوكلاً عليه تائبًا إليه ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

١٠. استقبل الهداية بالشكر والتوكل والصبر على الأذى في الاستقامة عليها ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

١١. إذا خشيت بأس أعداء الله وتخويف الشيطان لك ووسوسته وإلقاءه فاستعذ بالله متوكلاً عليه ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢. إذا أردت أن يكون الله وكيلك في كل حال، فتمسك بالتوكل على كل حال ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

١٣. إذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢].

١٤. إن شئت أن تنال محبة الله عز وجل فانزل أولاً في مقام التوكل ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٥. إذا رُمْتَ الثبات على الحق فالزم التوكل ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩][١].

❁❁❁❁

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (٢/ ٣١٣-٣١٥) بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أخبار المتوكلين

سادة المتوكلين هم الأنبياء، وعلى رأسهم النبي الذي سماه الله في التوراة المتوكل «سميتك المتوكل»(١)، وهو نبينا محمد صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله. ومن ذلك أنه قد نزل يومًا مع أصحابه في واد فعلّق سيفه في شجرة فتفرق الناس في الوادي يستظلّون في الشجر. فلم يرعهم إلا والنبي ﷺ يدعوهم فأتوه، فإذا بشخصٍ وسيف ساقط، فقال الرسول ﷺ: **«إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتًا** ـ أي مسلولاً ـ **فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. قال: فشامَ السيف»** أي أغمده، وفي رواية **«سقط السيف من يده»**(٢).

ولما كان رسول الله ﷺ في الغار ومعه صاحبه الصدّيق والكفار حول الغار يبحثون عنهما لقتلهما، وأبو بكر خائف على النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى ما بين قدميه لأبصرنا، فقال: **«يا أبا بكر، ما ظنّك باثنين اللهُ ثالثهما؟!»**(٣)، وقد خلّد الله هذا التوكل وصدق التفويض وكمال حسن الظن بمن بيده مقاليد الأمور، فقال في محكم التنزيل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحۡـزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنـزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡـهِ وَأَيَّـدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَـلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي مسند الإمام الرباني أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى بسنده عن النبي ﷺ قال: «إن امرأة خرجت في سريّة من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزًا لها وصيصيّتها(١) كانت تنسجُ بها، ففقدت عنزًا من غنمها وصيصيتها، فقالت: يا رب، إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإني قد فقدتُ عنزًا من غنمي وصيصيتي، وإني أنشدُك عنزي وصيصيتي، فجعل رسول الله ﷺ يذكر مناشدتها لربها تبارك وتعالى وشدة توكلها عليه، قال رسول الله ﷺ: «**فأصبحت عنزها ومثلها، وصيصيّتها ومثلها**»(٢).

وفي المسند كذلك عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما رجل وامرأته في السلف الخالي لا يقدران على شيء، فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعًا قد أصابته مسغبة(٣) شديدة، فقال لامرأته: أعندك شيء؟ قالت: نعم أبشر، أتاك رزق الله(٤)، فاستحثّها فقال: ويحكِ، ابتغي إن كان عندك شيء.

---

(١) الصيصية: السيخ الذي يُنسج به الغزل.

(٢) أحمد (٢٠١٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ١٠٤٧).

(٣) المسغبة: شدة الجوع. وفي التنزيل ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ [البلد: ١٤].

(٤) وهذا من تمام توكلها وحسن ظنها بربها، وإلا فليس لديها ما يضمّه ذو كبد.

وإني لأدعـــو الله حتـــى كـــأنني أرى بجميـــل الظـــن مـــا الله صـــانعُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت: نعم هنيّة اصبر نرجو رحمة الله[١]، حتى إذا طال عليه الطوى وجاع زيادة فوق جوعه فقال: ويحك قومي إن كان عندك خبز فأتيني به، فإني قد بلغت وجهدت. فقالت: نعم، الآن ينضج التنور فلا تعجل، فلما أن سكت عنها ساعة وتحيّنت أن يقول لها؛ قالت هي من نفسها: لو قمتُ فنظرت إلى تنّوري، فوجدتْ تنورها ملآن جنوب الغنم[٢] ورحيها[٣] تنطحنان! فقامت إلى الرحى ففضتها[٤]، وأخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم. قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فو الذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد ﷺ: **«لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحنتها إلى يوم القيامة»**[٥][٦].

اللّهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، اجعلنا ممن استهداك فهديته، وتوكل عليك فكفيته، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت، اللّهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز، ولا إلى الناس فنضيع، وكِلْنا إليك فأنت وكيلنا في الدنيا والآخرة وأنت حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بك، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

---

(١) وفي هذه الكلمة منها ترغيب له في حسن التوكل، وإيماء من خلف الستر بخلو الوفاض إلا من التوكل وحسن الظن، وَلِنَعْمَ القُنية.

(٢) وهي أرق لحم الماعز.

(٣) واحدتها رحى، وهي آلة من حجرين أحدهما فوق الآخر مثقوب الأعلى لوضع الحبوب التي تطحن عن طريق إدارة الحجر الفوقاني.

(٤) أي أخرجت جميع الطحين منها.

(٥) أحمد (٩١٦٨)، والهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٥٧) ووثق رجاله.

(٦) أعمال القلوب، المنجد (٢٢٩-٢٣١) بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إطلالة على صحيح أبي عبد الله البخاري

قال أبو عبد الله: وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ **«أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَهُ ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يَقْدَمُ عليه للأجل الذي أجّله فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجَّج[1] موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللّهم إنك تعلم أني كنت تسلّفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأنّي جَهَدْتُ أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر. وإني أستودعكَها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه، ينظر لعلّ مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار[2]، فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه. قال:**

---

(١) زَجّج: سوى موضع النقر وأصلحه.

(٢) وهذا من فقهه وورعه، فإن الله تعالى لم يضمن خرق العادة له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرِفْ بالألف دينارٍ راشدًا»[١].

(١) البخاري (٢١٦٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسوعة

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١) مقدّمات في أقوال وأعمال القلوب
٢) التوحيد والإخلاص
٣) العبودية
٤) الصدق مع الله تعالى
٥) محبّةُ الله تعالى
٦) الشّوقُ إلى الله تعالى
٧) الأُنسُ بالله تعالى
٨) الإرادة
٩) العزم
١٠) الرّجاء
١١) الرّغبة
١٢) التّوكّلُ على الله تعالى
١٣) حُسنُ الظّنّ بالله تعالى
١٤) الثقةُ بالله تعالى
١٥) الافتقارُ إلى الله تعالى
١٦) الاستغناءُ بالله تعالى
١٧) التعلُّقُ بالله تعالى
١٨) الالتجاءُ إلى الله تعالى
١٩) الاعتصامُ بالله تعالى
٢٠) سلامةُ الصّدر
٢١) العفاف
٢٢) الصَّبر
٢٣) الرّضا
٢٤) ...

الصف والتنسيق والإخراج الفني
خالد محمد جاب الله
مكة المكرمة - جوال: 0502543917

شبكة الألوكة - قسم الكتب